بسم الله الرحمن الرحيم

٨٠ ـ كتاب الدعوات

وقوله تعالى: {ادعوني أستَجِب لكم إن الذين يستَكبرون عن عبادتي سيَدخلونَ جهنَّمَ داخرين} /غافر:٦٠/.

قوله (وقول الله تعالى: ادعوني أستجب لكم الآية) وهذه الآية ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض. وقالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء، وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله {إن الذين يستكبرون عن عبادتي} واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي} الآية أخرجه الأربعة وصححه الترمذي والحاكم، وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر. «الحج عرفه» أي معظم الحج وركنه الأكبر، وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كحديث أبي هريرة رفعه «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم وحديثه رفعه «من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» والترمذي.

قال الطيبي: معنى الحديث أن من لم يسأل الله يبغضه والمبغوض مغضوب عليه والله يحب أن يسأل انتهى، ويؤيده حديث ابن مسعود رفعه «سلوا الله من فضله فإنَّ الله يحب أن يسأل» أخرجه الترمذي، وأما قوله بعد ذلك {عن عبادتي} فوجه الربط أنَّ الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى هذا فالوعيد إنما هو في حق من ترك الدعاء استكباراً ومن فعل ذلك كفر، وأما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه إليه الوعيد المذكور، وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك لكثرة الأدلة الواردة في الحث عليه.

قلت: وقد دلَّت الآية الآتية قريباً في السورة المذكورة أن الإجابة مشترطة بالإخلاص، وهو قوله تعالى {فادعوه مخلصين له الدين}. وعمدة من أول الدعاء في الآية بالعبادة أو غيرها قوله تعالى {فيكشف ما تدعون إليه إن شاء} وإنّ كثيراً من الناس يدعو فلا يستجاب له، فلو كانت على ظاهرها لم يتخلف، والجواب عن ذلك أنَّ كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه، وقد ورد في ذلك حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبادة بن الصامت رفعه «ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها»، ولأحمد من حديث أبي هريرة،

إما أن يعجلها له. وإما أن يدخرها له» وله في حديث أبي سعيد رفعه «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» وصححه الحاكم.

وهذا شرط ثان للإجابة، ولها شروط أخرى منها أن يكون طيب المطعم والملبس لحديث «فأنى يستجاب لذلك» وسيأتي بعد عشرين باباً من حديث أبي هريرة، ومنها ألا يكون يستعجل لحديث «يستجاب لأحدكم ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي» أخرجه مالك.

١ ـ باب لكلِّ نبيٍ دعوةٌ مُستجابة

٦٣٠٤ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: لكلِّ نبيٍ دَعوةٌ مستجابةٌ يَدعو بها، وأُريدُ أن أختبِيءَ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة».

[الحديث ٦٣٠٤ - طرفه في: ٧٤٧٤]

٦٣٠٥ ـ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: لكلِّ نبيٍ سأل سؤلا -أو قال: لكل نبيٍ دعوةٌ قد دَعا بها- فاستُجيبَ. فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يومَ القيامة».

قوله (باب لكل نبي دعوة مستجابة) ومناسبتها للآية الإشارة إلى أن بعض الدعاء لا يستجاب عينا.

قوله (وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة) .

ولمسلم من رواية أبي صالح عن أبي هريرة «وإني اختبأت» وفي حديث أنس «فجعلت دعوتي» وزاد «يوم القيامة» وزاد أبو صالح فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً».

وكأنَّه ﷺ أراد أن يؤخرها ثم عزم ففعل ورجا وقوع ذلك فأعلمه الله به فجزم به، وسيأتي تتمة الكلام على الشفاعة وأنواعها في أول كتاب الرقاق[١] إن شاء الله تعالى.

وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ولا سيما نبينا ﷺ، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط، والجوب أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة.

وقيل معنى قوله «لكل نبي دعوة» أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى، وقيل لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب، وقيل لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه كقول نوح {لا تذر على الأرض} وقول زكريا: {فهب لي من لدنك وليا يرثني} وقول سليمان: {وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي} حكاه ابن التين. وقال بعض شراح «المصابيح» ما

(١) كتاب الرقاق باب ٥١ ح ٦٥٥٨،٦٥٦٤،٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦

لفظه: إعلم أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة، والمراد بهذا الحديث أن كل نبي دعا على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع، فأعطيت الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم، والمراد بالأمة أمة الدعوة لا أمة الإجابة. وتعقبه الطيبي بأنه ﷺ دعا على أحياء من العرب ودعا على أناس من قريش بأسمائهم ودعا على رعل وذكوان ودعا على مضر، قال: والأولى أن يقال إن الله جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته فنالها كل منهم في الدنيا، وأما نبينا فإنه لما دعا على بعض أمته نزل عليه {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم} فبقي تلك الدعوة المستجابة مدخرة للآخرة، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم وإنما أراد ردعهم ليتوبوا.

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ففيه غفلة عن الحديث الصحيح «سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» الحديث قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها أيضاً دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم.

وقال ابن الجوزي: هذا من حسن تصرفه ﷺ لأنَّه جعل الدعوة فيما ينبغي، ومن كثرة كرمه لأنَّه آثر أمته على نفسه، ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها من الطائعين.

وقال النووي: فيه كمال شفقته ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتناؤه بالنظر في مصالحهم، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم.

وأما قوله «فهي نائلة» ففيه دليل لأهل السنة أن من مات غير مشرك لا يخلد في النار، ولو مات مصراً على الكبائر.

٢ ـ باب أفضل الاستغفار

وقوله تعالى {واستغفروا ربَّكم إنه كان غفارا، يُرسِلِ السماء عليكم مِدراراً، ويُمدِدكُم بأموالٍ وبنينَ، ويَجعلْ لكم جناتٍ، ويَجعل لكم أنهارا} /نوح: ١٠ -١٢/. والذين إذا فَعلوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفُسَهم ذكروا اللهَ فاستغفَروا لِذنُوبهم، ومن يَغفرُ الذنوبَ إلا الله، ولم يصرُّوا على ما فَعلوا وهم يعلمون} /آل عمران:١٣٥/

٦٣٠٦ ـ عن شدادِ بن أوس رضيَ الله عنه عن النبي ﷺ: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ: اللهم أنتَ ربِّي لا إلهَ إلا أنت، خَلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبوءُ لك بذنبي، اغفِرلي، فإنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلا أنت. قال: ومن قالها من النهارِ مُوقِناً بها فماتَ من يومِه قبل أن يمسي

فهو من أهلِ الجَنة، ومن قالها من الليلِ وهو موقِنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبِحَ فهو من أهل الجنة».

قوله (باب أفضل الاستغفار) كأن المصنف أراد إثبات مشروعية الحث على الاستغفار بذكر الآيتين.

ثم بين بالحديث أولى ما يستعمل من ألفاظه، وترجم بالأفضلية.

ووقع الحديث بلفظ السيادة وكأنه أشار إلى أن المراد بالسيادةِ الأفضلية ومعناها الأكثر نفعاً لمستعمله، ومن أوضح ما وقع في فضل الاستغفار ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث يسار وغيره مرفوعاً «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان فرَّ من الزحف» قال أبو نعيم الأصبهاني: هذا يدل على أن بعض الكبائر تغفر ببعض العمل الصالح، وضابطه الذنوب التي لا توجب على مرتكبها حكماً في نفس ولا مال، ووجه الدلالة منه أنه مثل بالفرار من الزحف وهو من الكبائر، فدل على أنَّ ما كان مثله أو دونه يغفر إذا كان مثل الفرار من الزحف، فإنه لا يوجب على مرتكبه حكماً في نفس ولا مال.

قوله (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية} واختلف في معنى قوله {ذكروا الله} فقيل إن قوله {فاستغفروا} تفسير للمراد بالذكر، وقيل هو على حذف تقديره ذكروا عقاب الله، والمعنى تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم فاستغفروا لذنوبهم أي لأجل ذنوبهم وقد ورد في حديث حسن صفة الاستغفار المشار إليه في الآية أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن حبان من حديث علي بن أبي طالب قال: «حدثني أبو بكر الصديق رضي الله عنهما وصدق أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ثم يستغر الله عز وجل إلا غفر له» ثم تلا: {والذين إذا فعلوا فاحشة} الآية.

وقوله تعالى: {ولم يصروا على ما فعلوا} فيه إشارة إلى أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب.

وورد في فضل الاستغفار والحث عليه آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة، منها حديث أبي سعيد رفعه «قال إبليس: يارب لا أزال أغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله تعالى: وعزتي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» أخرجه أحمد، وحديث أبي بكر الصديق رفعه «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة» أخرجه أبوداود والترمذي وذكر السبعين للمبالغة، وإلا ففي حديث أبي هريرة الآتي في التوحيد مرفوعاً «أن عبداً أذنب ذنباً فقال رب إني أذنبت ذنباً فاغفر لي فغفر له» الحديث وفي آخره «علم عبدي أن له رباً

يغفر الذنب ويأخذ به، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

قوله (أنا على عهدك) قال الخطابي: يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك.

ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إلي من أمرك ومتمسك به ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر.

واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى.

قوله (أبوء لك بنعمتك عليٌّ) وأبوء معناه أعترف.

قوله (فاغفر[1] لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) يؤخذ منه أن من اعترف بذنبه غفر له، وقد وقع صريحاً في حديث الإفك الطويل وفيه «العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه».

قوله (من قالها موقنا بها) أي مخلصاً من قلبه مصدقاً بثوابها.

٣ ـ باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة

٦٣٠٧ ـ قال أبو هريرةَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: واللهِ إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّة».

قوله (لأستغفر الله وأتوب إليه) ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة «ويحتمل أن يكون المراد يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة».

وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية.

وأجيب بعدة أجوبة: منها قول ابن بطال: الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير انتهى.

ومحصل جوابه أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة، أو لمخاطبة الناس والنظر في مصالحهم، ومحاربة عدوهم تارة ومداراته أخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته.

٤ ـ باب التَّوبة

قال قَتادة: {توبة نصوحًا}/ التحريم:٨/ الصادقة الناصحة

٦٣٠٨ ـ عن الحارث بن سوَيْدٍ «حدثنا عبدُ الله بنُ مسعودٍ حديثين: أحدُهما عن النبي

(١) رواية الباب واليونينية "اغفر لي فإنه لا"

ﷺ، والآخر عن نفسه. قال: إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبهُ كأنه قاعدٌ تحتَ جَبل يَخاف أن يَقعَ عليه، وإن الفاجرَ يرَى ذنوبهُ كذُبابٍ مرَّ على أنفه فقالَ به هكذا -قال أبو شهاب بيدهِ فوق أنفهِ- ثم قال: للهُ أفرَحُ بتوبةِ العبدِ من رجُلٍ نزَلَ منزلاً وبه مَهلكة ومعَهُ راحلتُه عليها طعامه وشرابه، فوضَعَ رأسه فنامَ نومةً، فاستيقَظَ وقد ذهبَت راحلتهُ حتى اشتدَّ عليه الحرُّ والعطش أو ما شاءَ الله، قال أرجعُ إلى مكاني، ثم رفعَ رأسَهُ فإذا راحلتُهُ عندَه».

٦٣٠٩ - عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: اللهُ أفرَحُ بتوبةِ عبدِه من أحدكم سقطَ على بعيره وقد أضلهُ في أرض فلاةٍ».

قوله (باب التوبة) أشار المصنف بإيراد هذين البابين -وهما الاستغفار ثم التوبة- في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية، فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته.

وما ألطف قول ابن الجوزي، إذ سئل أأسبح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

والاستغفار استفعال من الغفران وأصله الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عما يدنسه، وتدنيس كل شيء بحسبه والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب، والتوبة ترك الذنب على أحد الأوجه.

وفي الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على فعله، والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها.

وقال بعض المحققين هي اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديرا لأجل الله، قال: وهذا أسدُّ العبارات وأجمعها.

وزاد بعض من أدركناه في شروط التوبة أموراً أخرى: منها أن يفارق موضع المعصية، وأن لا يصل في آخر عمره إلى الغرغرة، وأن لا تطلع الشمس من مغربها، وأن لا يعود إلى ذلك الذنب، فإن عاد إليه بان أنّ توبته باطلة.

قلت: والأول مستحب، والثاني والثالث داخلان في حد التكليف والرابع الأخير عزي للقاضي أبي بكر الباقلاني.

ويرده الحديث الآتي بعد عشرين باباً وقد أشرت إليه في «باب فضل الاستغفار» وقد قال الحليمي في تفسير التوأب في الأسماء الحسنى: أنه العائد على عبده بفضل رحمته، كلما رجع لطاعته وندم على معصيته فلا يحبط عنه ما قدمه من خير ولا يحرمه ما وعد به الطائع من الإحسان وقال الخطابي: التوأب الذي يعود إلى القبول كلما عاد العبد إلى الذنب وتاب.

قوله (بيده[١] على أنفه) هو تفسير منه لقوله «فقال» قال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته، لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قلّ خوفه واستهان بالمعصية.

وقال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده، ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل، قال: ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره.

قال: وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن، وإرشاد إلى الحض على محاسبة النفس، واعتبار العلامات الدالة على بقاء نعمة الإيمان، وفيه أن الفجور أمر قلبي كالإيمان، وفيه دليل لأهل السنة لأنهم لا يكفرون بالذنوب.ورد على الخوارج وغيرهم ممن يكفر بالذنوب.

وقال ابن بطال: يؤخذ منه أنه ينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً، لأن الله تعالى قد يعذب على القليل فإنه لا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى.

قوله (سقط على بعيره) أي صادفه وعثر عليه من غير قصد فظفر به.

قوله (وقد أضله) أي ذهب منه بغير قصده.

قوله (بفلاة[٢]) أي مفازة.

إلى هنا انتهت رواية قتادة «وزاد إسحاق بن أبي طلحة عن أنس فيه عند مسلم «فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح» قال عياض: فيه أن ما قاله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به، وكذا حكايته عنه على طريق علمي وفائدة شرعية لا على الهزل والمحاكاة والعبث، ويدل على ذلك حكاية النبي ﷺ ذلك ولو كان منكراً ما حكاه والله أعلم.

٥ ـ باب الضجع علَى الشقِّ الأيمن

٦٣١٠ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «كان النبيُّ ﷺ يصلّي منَ الليل إحدَى عشرةَ ركعة، فإذا طَلعَ الفجرُ ﷺ ركعتين خَفيفتَين. ثمَّ اضطَجَع على شِقِّه الأيمن حتى يجيء المؤذِّن فيُؤْذِنه».

قوله (باب الضجع على الشقِّ الأيمن) وذكر المصنف هذا الباب والذي بعده توطئة لما

---

(١) رواية الباب واليونينية "بيده فوق أنفه".
(٢) رواية الباب واليونينية في أرض "فلاة" .

يذكر بعدهما من القول عند النوم.

٦ ـ باب إذا بات طاهراً

٦٣١١ ـ عن البَراءِ بن عازِبٍ رضي اللهُ عنهما قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وَضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجِع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ وَجْهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك؛ وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبةً إليك، لا مَلجأ ولا مَنْجا منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزَلت، وبنبيكَ الذي أرسلت. فإن مُتَّ متَّ على الفِطرة، فاجعَلْهُنَّ آخرَ ما تقول. فقلتُ أستَذكرهنَّ: وبرسولكَ الذي أرسلت. قال: لا، وبنبِّيكَ الذي أرسلت».

قوله (إذا أتيت مضجعك) أي إذا أردت أن تضطجع .

قوله (فتوضأ وضوءك للصلاة) الأمر فيه للندب.

وله فوائد: منها أن يبيت على طهارة لئلا يبغته الموت فيكون على هيئة كاملة، ويؤخذ منه الندب إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب لأنه أولى من طهارة البدن.

ويتأكد ذلك في حق المحدث ولا سيما الجنب وهو أنشط للعود، وقد يكون منشطاً للغسل فيبيت على طهارة كاملة.

ومنها أن يكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به.

قال الترمذي: ليس في الأحاديث ذكر الوضوء عند النوم إلا في هذا الحديث.

قوله (ثم اضطجع على شقك) أي الجانب، وخص الأيمن لفوائد: منها أنه أسرع إلى الانتباه، ومنها أن القلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل بالنوم، ومنها قال ابن الجوزي: هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن.

قالوا يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة ثم ينقلب إلى الأيسر لأن الأول سبب لانحدار الطعام، والنوم على اليسار يهضم لاشتمال الكبد على المعدة.

قوله (أسلمت) أي استسلمت وانقدت، والمعنى جعلت نفسي منقادة لك تابعة لحكمك إذ لا قدرة لي على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها إليها ولا دفع ما يضرها عنها.

قوله (وفوَّضت أمري إليك) أي توكلت عليك في أمري كله.

قوله (وألجأت) أي اعتمدت في أموري عليك لتعينني على ما ينفعني، لأن من استند إلى شيء تقوى به واستعان به، وخصه بالظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه.

قوله (رغبة ورهبة إليك) أي رغبة في رفدك وثوابك «ورهبة» أي خوفاً من غضبك ومن عقابك.

قوله (لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك) وقال الطيبي: في نظم هذا الذكر عجائب لا يعرفها إلا المتقن من أهل البيان، فأشار بقوله «أسلمت نفسي» إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى في أوامره ونواهيه، وبقوله «وجهت وجهي» إلى أن ذاته مخلصة له بريئة من النفاق، وبقوله «فوضت أمري» إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوضة إليه لا مدبر لها غيره، وبقوله «ألجأت ظهري» إلى أنه بعد التفويض يلتجئ إليه مما يضره ويؤذيه من الأسباب كلها. قال: وقوله رغبة ورهبة. أي فوضت أموري إليك رغبة وألجأت ظهري إليك رهبة.

قوله (فإن متَّ متَّ على الفطرة) أي على الدين القويم ملة إبراهيم: فإنه عليه السلام أسلم واستسلم، قال الله تعالى عنه : {جاء ربه بقلب سليم} وقال عنه {أسلمت لرب العالمين} وقال: {فلما أسلما} وقال ابن بطال وجماعة: المراد بالفطرة هنا دين الإسلام.

قوله (وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا. وبنبيك الذي أرسلت) قال القرطبي تبعاً لغيره: هذا حجة لمن لم يجز نقل الحديث بالمعنى وهو الصحيح من مذهب مالك.

وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري قال: فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه. وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف. ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها. وقال النووي: في الحديث ثلاث سنن إحداها الوضوء عند النوم، وإن كان متوضئاً كفاه لأن المقصود النوم على طهارة. ثانيها النوم على اليمين. ثالثها الختم بذكر الله.

٧ ـ باب ما يقولُ إذا نام

٦٣١٢ ـ عن حذَيفةَ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فِراشهِ قال: باسمكَ أموتُ وأحيا. وإذا قام قال: الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». تنشرها: تخرجها

[الحديث ٦٣١٢ - أطرافه في: ٦٣١٤، ٦٣٢٤، ٧٣٩٤]

٦٣١٣ ـ عن البراء بن عازب أنَّ النبيَّ ﷺ أوصى رجُلا فقال: إذا أردتَ مَضجعَكَ فقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوضتُ أمري إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وألجأتُ ظَهري إليك، رَغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا مَنْجا منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزَلت، وبنبيِّك الذي أرسلت. فإن مُتَّ متَّ على الفِطرة.

قوله (باسمك أموت وأحيا) أي بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت.

قوله (وإليه النشور) أي البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة، يقال نشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا.

٨ ـ باب وضع اليد تحتَ الخد اليمنى

٦٣١٤ ـ عن حُذيفةَ رضيَ الله عنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أخذَ مَضجَعه من الليل وضعَ يدَه تحتَ خدِّه ثم يقول: اللهمَّ باسمكَ أموت وأحيا. وإذا استيقَظَ قال: الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتنا، وإليه النُّشور».

٩ ـ باب النوم على الشّقّ الأيمن

٦٣١٥ ـ عن البراء بن عازبٍ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أوَى إلى فراشه نامَ على شقه الأيمنِ ثم قال: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك لا مَلجأ ولا مَنجا منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلت. وقال رسولُ الله ﷺ: من قالهنَّ ثم ماتَ تحتَ ليلتهِ مات على الفِطرة».

١٠ ـ باب الدُّعاء إذا انتَبَه من الليل

٦٣١٦ ـ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: بتُّ عندَ مَيمونةَ، فقامَ النبيُّ ﷺ فأتى حاجتَه فغسلَ وَجهَهُ ويدَيه، ثم نام ثم قام فأتى القِربة فأطلقَ شِناقَها، ثم توضأ وُضوءاً بين وضوءَين لم يُكثر وقد أبْلَغَ، فصلى فقمتُ فتمطَّيتُ كراهيةَ أن يرَى أنِّي كنتُ أتقيه، فتوضأتُ، فقام يُصلّي فقمتُ عن يساره، فأخذَ بأذُني فأدارَني عن يَمينه، فتتامَّت صلاته ثلاث عشرَةَ ركعة، ثم اضطَجع فنام حتى نَفَخ -وكان إذا نام نفَخ- فآذَنَهُ بلالٌ بالصلاة، فصلى ولم يتوضأ، وكان يقول في دُعائه: اللهمَّ اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بَصري نوراً، وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يَساري نوراً، وفَوقي نوراً وتحتي نوراً، وأمامي نوراً وخلفي نوراً، واجعلْ لي نوراً». قال كُرَيب: وسبع في التابوت فلقيتُ رجلاً من ولدِ العباس فحدثني بهن، فذكرَ عصبي ولحمي ودمي وشَعري وبَشَري، وذكرَ خصلتَين.

٦٣١٧ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ كان النبيُّ ﷺ إذا قامَ من الليل يتهجَّدُ قال: اللّهمَّ لك الحمدُ، أنتَ نورُ السماواتِ والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنت قيِّمُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنتَ الحقُّ ووعدُك حقّ، وقولك حقٌّ ولِقاؤكَ حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ والساعَةُ حقٌّ، والنبيُّونَ حق ومحمدٌ حقٌّ اللهمَّ لك أسلمتُ وعليك توكّلتُ وبك آمنتُ وإليك أنبتُ وبك خاصمتُ وإليك حاكَمْتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخرْتُ؛ وما أسرَرتُ وما أعلنت، أنت المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّر، لا إله إلا أنت -أو لا إله غيرك».

قوله (فتتامت) أي تكاملت.

قوله (قال كريب: وسبع في التابوت) وقد اختلف في مراده بقوله التابوت فجزم الدمياطي

في حاشيته بأن المراد به الصدر الذي هو وعاء القلب، وسبق ابن بطال والداوديُ إلى أن المراد بالتابوت الصدر، وزاد ابن بطال: كما يقال لمن يحفظ العلم: علمه في التابوت مستودع.

وقال ابن الجوزي يريد بالتابوت الصندوق أي سبعٌ مكتوبة في صندوق عنده لم يحفظها في ذلك الوقت.

قوله (فذكر عصبي) قال ابن التين هي أطناب المفاصل، وقوله «وبشري» ظاهر الجسد.

قوله (وذكر خصلتين) أي تكملة السبعة، قال القرطبي: هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً يستضيء به يوم القيامة في تلك الظُلَم هو ومن تبعه أو من شاء الله منهم، قال والأولى أن يقال: هي مستعارة للعلم والهداية كما قال تعالى: {فهو على نور من ربه} وقوله تعالى {وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس}.

١١ ـ باب التكبير والتسبيح عندَ المنام

٦٣١٨ ـ عن عليٍ أنَّ فاطمةَ عليها السلامُ شكت ما تَلقى في يدِها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ ﷺ تسألهُ خادِماً، فلم تجِدْه، فذكرَت ذلكَ لعائشة فلما جاءَ أخبرَته، قال فجاءَنا وقد أخَذنا مَضاجِعَنا، فذهبتُ أقوم، فقال: مكانكِ، فجلسَ بيننا حتّى وجدتُ بردَ قدَمَيه على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادِمٍ؟ إذا أوَيتُما إلى فِراشِكما -أو أخذتُما مَضاجعكما- فكبِّرا أربعاً وثلاثين، وسَبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم».

قوله (باب التكبير والتسبيح عند المنام) أي والتحميد .

قوله (فأتت النبيَّ ﷺ تسأله خادما) أي جارية تخدمها.

وقد اختلف في معنى الخيرية في الخبر فقال عياض: ظاهره أنه أراد أن يعلمهما أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا على كل حال، وإنما اقتصر على ذلك لما لم يمكنه إعطاء الخادم، ثم علمهما إذ فاتهما ما طلباه ذكراً يحصل لهما أجراً أفضل مما سألاه.

وقال القرطبي: إنما أحالهما على الذكر ليكون عوضاً عن الدعاء عند الحاجة، أو لكونه أحب لابنته ما أحب لنفسه من إيثار الفقر وتحمل شدّته بالصبر عليه تعظيماً لأجرها.

وقال المهلب: علم ﷺ ابنته من الذكر ما هو أكثر نفعاً لها في الآخرة، وآثر أهل الصفة لأنهم كانوا وقفوا أنفسهم لسماع العلم وضبط السنة على شبع بطونهم لا يرغبون في كسب مالٍ ولا في عيال، ولكنَّهم اشتروا أنفسهم من الله بالقوت، ويؤخذ منه تقديم طلبة العلم على غيرهم في الخمس، وفيه ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش وقلة الشيء

وشدة الحال. وأن الله حماهم الدنيا مع إمكان ذلك صيانة لهم من تبعاتها، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء، وقال إسماعيل القاضي: في هذا الحديث أن للإمام أن يقسِّم الخمسَ حيث رأى، لأن السبي لا يكون إلا من الخمس، وأما الأربعة أخماس فهو حق الغانمين انتهى، وهو قول مالك وجماعة، وذهب الشافعي وجماعة إلى أن لآل البيت سهماً من الخمس، وقد تقدم بسط ذلك في فرض الخمس في أواخر الجهاد[١].

وقال المهلب: فيه حمل الإنسان أهله على ما يحمل عليه نفسه من إيثار الآخرة على الدنيا إذا كانت لهم قدرة على ذلك، وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما، وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما حتّى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضاً عما طلباه من الخادم، وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك، كذا أفاده ابن تيمية، وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشقُّ عليه ولو حصل له التعب، والله أعلم.

١٢ ـ باب التَعوُّذِ والقراءةِ عندَ المنام

٦٣١٩ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أخذَ مَضجَعَه نَفثَ في يدَيه، وقرأ بالمعوِّذات، ومَسحَ بهما جَسدَه».

قوله (باب التعوذ والقراءة عند النوم[٢]) ذكر فيه حديث عائشة في قراءة المعوذات، وقد تقدم شرحه في كتاب الطب[٣]، وبيَّنت اختلاف الرواة في أنه كان يقول ذلك دائماً أو بقيد الشكوى، وأنه ثبت عن عائشة أنه يفيد الأمران معاً، وبينت فيه أن المراد بالمعوذات الإخلاص والفلق والناس، وقد ورد في القراءة عند النوم عدة أحاديث صحيحة: منها حديث أبي هريرة في قراءة آية الكرسي وقد تقدم في الوكالة[٤] وغيرها، وحديث ابن مسعود الآيتان من آخر سورة البقرة وقد تقدم في فضائل القرآن[٥]، وحديث فروة بن نوفل عن أبيه «أنَّ النبيَّ ﷺ قال لنوفل: إقرأ قل يا أيها الكافرون في كل ليلة ونم على خاتمها فإنها براءة من الشرك» أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وحديث جابر رفعه «كان لا ينام حتى يقرأ

(١) كتاب فرض الخمس باب /٦ح ٣١١٣٦ - ٢ / ٦٧٩.
(٢) رواية الباب واليونينية "عند المنام".
(٣) كتاب الطب باب / ٣٢ ح ٥٧٣٥ - ٤ / ٣٣٣.
(٤) كتاب الوكالة باب / ١٠ ح ٢٣١١ - ٢ / ٣٢٩.
(٥) كتاب فضائل القرآن باب / ١٠ ح ٥٠٠٩ - ٢ / ٣٢٩.

ألم تنزيل وتبارك» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد».

وورد في التعوذ أيضاً عدة أحاديث: «لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضرك شيء».

قال ابن بطال: في حديث عائشة رد على من منع استعمال العوذ والرقى إلا بعد وقوع المرض انتهى.

١٣ - باب *

٦٣٢٠ - عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: إذا أوَى أحدُكم إلى فراشهِ فلينفض فِراشهُ بداخلةِ إزاره، فإنهُ لا يدري ما خَلَفَهُ عليه، ثم يقول: باسمكَ ربي وَضعتُ جَنبي، وبكَ أرفَعهُ، إن أمسكتَ نفسي فارحَمْها، وإن أرسلتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادك الصالحين».

[الحديث ٦٣٢٠ - طرفه في: ٧٣٩٣]

قوله (فلينفض فراشه بداخلة إزاره) وقال القرطبي في «المفهم»: حكمة هذا النفض قد ذكرت في الحديث، وأما اختصاص النفض بداخلة الإزار فلم يظهر لنا، ويقع لي أن في ذلك خاصية طبية تمنع من قرب بعض الحيوانات كما أمر بذلك العائن.

قوله (فإنه لا يدري ما خلفه عليه) قال الطيبي: معناه لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج منه من تراب أو قذاة أو هوام.

قوله (فارحمها) قال الكرماني: الإمساك كناية عن الموت، فالرحمة أو المغفرة تناسبه، والإرسال كناية عن استمرار البقاء والحفظ يناسبه.

١٤ - باب الدعاء نصفَ الليل

٦٣٢١ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: يَتنزلُ ربُّنا تَباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا حين يَبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيه، من يستغفِرُني فأغفِرَ له؟».

قوله (باب الدعاء نصف الليل) أي بيان فضل الدعاء في ذلك الوقت على غيره إلى طلوع الفجر، قال ابن بطال: هو وقت شريف، خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم، وهو وقت غفلة وخلوةٍ واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لا سيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد. وكذا أهل التعب ولا سيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد، والإخلاص لربه.

قوله (حين يبقى ثلث الليل) قال ابن بطال: النزول محال على الله لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفل، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه على ذلك فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه أو يفوض مع اعتقاد التنزيه [١]، وقد تقدم شرح الحديث في الصلاة في «باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل» من أبواب التهجد[٢]؛ ويأتي ما بقي منه في كتاب التوحيد[٣]إن شاء الله تعالى.

١٥ ـ باب الدعاء عندَ الخَلاء

٦٣٢٢ ـ عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ الخلاء قال: اللّهمَّ إني أعوذ بك مِنَ الخُبثِ والخبائث».

قوله (باب الدعاء عند الخلاء) أي عند إرادة الدخول، ذكر فيه حديث أنس وقد تقدم شرحه في كتاب الطهارة[٤].

١٦ ـ باب ما يقول إذا أصبح

٦٣٢٣ ـ عن شدَادِ بن أوسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: سيِّد الاستغفار اللهم أنتَ ربي لا إلهَ إلا أنت، خَلقتَني وأنا عبدُك وأنا على عهدِكَ ووعدِك ما استطَعت، أبُوءُ لك بنعمتك، وأبوءُ لك بذنبي، فاغفِرلي، فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنَعتُ. إذا قال حينَ يُمسي فماتَ دخلَ الجنَّة -أو كان من أهلِ الجنة- وإذا قال حِينَ يُصبِح فماتَ من يومِه مثله».

٦٣٢٤ ـ عن حُذيفةَ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يَنامَ قال: باسمكَ اللهمَّ أموتُ وأحيا. وإذا استيقَظَ من مَنامه قال: الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النُّشور».

٦٣٢٥ ـ عن أبي ذرٍ رضيَّ الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أخذَ مَضجعَه من الليل قال: اللهمَّ باسمِك أموتُ وأحيا. فإذا استَيقظ قال: الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النُّشور».

[الحديث ٦٣٢٥ - طرفه في: ٧٣٩٥]

١٧ ـ باب الدُّعاء في الصَلاة

٦٣٢٦ ـ عن أبي بكر الصديق رضيَ الله عنه أنه قال للنبيِّ ﷺ: علّمني دُعاءَ أدْعو به في صلاتي، قال: قلِ اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يَغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ،

(١) هذا تأويل يفضي إلى التعطيل، وهو مرفوض، والحق ما كان عليه سلفنا الصالح من إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت دون تأويل ولا تعطيل، واثبات النزول يؤيده صريح القرآن وصحيح السنة وعليه إجماع سلف الأمة.

(٢) كتاب التهجد باب / ١٤ ح ١١٤٥ - ١ / ٥٨٤.

(٣) كتاب التوحيد باب / ٣٥ ح ٧٤٩٤ - ٥ / ٥٩٣.

(٤) كتاب الوضوء باب / ٩ ح ١٤٢ - ١ / ١٣٣.

فاغفرْ لي مَغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنتَ الغفورُ الرحيم».

٦٣٢٧ ـ عن عائشة {ولا تجهَر بصلاتك ولا تخافِت بها} أنزِلت في الدُّعاء».

٦٣٢٨ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: كنا نقول في الصلاة: السلام عَلَى الله، السلام على فلان، فقال لنا النبيُّ ﷺ ذاتَ يوم: إنَّ اللهَ هوَ السلام، فإذا قَعدَ أحدُكم في الصلاة فَليقل: التحيات لله -إلى قوله- الصالحين، فإذا قالها أصابَ كلَّ عبدٍ لله في السماء والأرض صالح، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله، ثم يتخيرُ من الثناء ما شاء» .

قوله (قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي[1] ﷺ) قال الطبري: في حديث أبي بكر دلالة على رد قول من زعم أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من لا خطيئة له ولا ذنب، لأن الصديق من أكبر أهل الإيمان.

وقد علمه النبي ﷺ يقول: إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت».

وقال الكرماني: هذا الدعاء من الجوامع، لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار وفي الثاني طلب إدخال الجنة وهذا هو الفوز العظيم.

وقال ابن أبي جمرة ما ملخصه: في الحديث مشروعية الدعاء في الصلاة، وفضل الدعاء المذكور على غيره، وطلب التعليم من الأعلى وإن كان الطالب يعرف ذلك النوع، وخص الدعاء بالصلاة لقوله ﷺ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

وفيه أن المرء ينظر في عبادته إلى الأرفع فيتسبب في تحصيله.

وفي تعليم النبي ﷺ لأبي بكر هذا الدعاء إشارة إلى إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا، ولعله فهم ذلك من حال أبي بكر وإيثاره أمر الآخر قال: وفي قوله «ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت» أي ليس لي حيلة في دفعه فهي حالة افتقار.

فأشبه حال المضطر الموعود بالإجابة، وفيه هضم النفس والاعتراف بالتقصير.

١٨ ـ باب الدُّعاءِ بعدَ الصَّلاة

٦٣٢٩ ـ عن أبي هريرة: قالوا: يا رسولَ الله، قد ذهبَ أهلُ الدُّثور بالدَّرجات والنَّعيم المقيم. قال: كيف ذاك؟ قال: صلُّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهَدْنا، وأنفَقوا من فضولِ أموالهم، وليس لنا أموال. قال: أفلا أُخبِركم بأمر تُدركون من كان قبلَكم وتَسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحدٌ بمثل ما جئتم به إلا مَن جاء بمثله: تُسبِّحون في دُبرِ كل صلاة عشراً

(١) رواية الباب واليونينية "عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ .

وتَحمدون عشراً، وتكبرون عشراً».

٦٣٣٠ ـ عن ورّادٍ مولى المغيرةِ بن شعبةَ قال: «كتب المغيرةُ إلى معاويةَ بن أبي سفيان أن رسولَ الله ﷺ كان يقول في دُبرِ كل صلاةٍ إذا سلم: لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قَدير. اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما مَنعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ».

قوله (باب الدعاء بعد الصلاة) أي المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكاً بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد الله بن الحارث عن عائشة كان النبي ﷺ «إذا سلم لا يثبت إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره جالساً على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه «كان إذا ﷺ أقبل على أصحابه» فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه.

قال ابن القيم في «الهدي النبوي»: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي ﷺ أصلاً، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن، وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضاً من السنة بعدهما، قال: وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها، قال: وهذا اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه مناجيه، فإذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه؟ ثم قال: لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء؛ ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة.

قلت: وما ادعاه من النفي مطلقاً مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم، وحديث أبي بكرة في قوله «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر، كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة» أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الحاكم.

فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعاً، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه.

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة «قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات» وقال حسن.

وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقاً، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعاء حينئذ.

قال ابن بطال: في هذه الأحاديث الحض على الذكر في أدبار الصلوات «وأن ذلك يوازي إنفاق المال في طاعة الله لقوله «تدركون به من سبقكم» وسئل الأوزاعي هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال: ليس شيء يعدل القرآن، ولكن كان هدي السلف الذكر.

وفيها أن الذكر المذكور يلي الصلاة المكتوبة ولا يؤخر إلى أن يصلي الراتبة لما تقدم، والله أعلم.

١٩ ـ باب قول الله تبارك وتعالى {وصلِّ عليهم} /التوبة:١٠٣/، ومَن خصَّ أخاه بالدعاء دون نفسه

وقال أبو موسى قال النبيُّ: اللهمَّ اغفر لعُبَيدٍ أبي عامر، اللهمَّ اغفِرْ لعبدِ الله بن قيس ذنْبه

٦٣٣١ ـ عن سلمةُ بن الأكوعَ قال: خرجْنا معَ النبيِّ ﷺ إلى خَيبرَ، فقال رجلٌ من القوم: أيا عامرُ لو أسمعتَنا من هُنَيهاتِك، فنزلَ يَحدو بهم يُذكِّر «تاللهِ لولا اللهُ ما اهتدَينا» وذكرَ شِعراً غيرَ هذا ولكني لم أحفظَه. قال رسولُ الله ﷺ: «منَ هذا السائق؟ قالوا: عامرُ بن الأكوَع. قال: يرحمهُ الله. فقال رجل من القوم: يا رسول الله، لولا متعْتَنا به. فلما صافَّ القومَ قاتلوهم، فأصيبَ عامرٌ بقائمة سَيفِ نفسه، فمات. فلما أمسوَ أو قدوا ناراً كثيرة. فقال رسولُ الله ﷺ: ما هذه النار، على أي شيء توقِدون؟ قالوا: على حُمر إنسية. قال: أهريقوا ما فيها وكسِّروها. قال رجل: يا رسولَ الله، ألا نُهرِيق ما فيها ونَغسلُها؟ قال: أو ذاك».

٦٣٣٢ ـ عن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما: كان النبيُّ ﷺ إذا أتاهُ رجلٌ بصدَقته قال: ﷺ اللهمَّ صل على آل فلان، فأتاهُ أبي فقال: اللهمَّ صل على آل أبي أوفى».

٦٣٣٣ ـ عن جريرٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلَصة -وهو نُصُبٌ كانوا يعبدُونهُ يسمى الكعبةَ اليمانيَة- قلت: يا رسولَ الله، إني رجلٌ لا أثبُتُ على الخيل. فصَكَّ في صدري فقال: اللهمَّ ثَبِّتْه، واجعَله هادياً مَهديا. قال: فخرجتُ في خمسينَ من أحمسَ من قومي -وربما قال سفيانُ: فانطلَقتُ في عُصبةٍ من قومي- فأتيتُها فأحرَقتها، ثمَّ أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يارسولَ الله، واللهِ ما أتيتك حتى تركتها مثلَ الجملِ الأجرب. فدَعا لأحمس وخَيلها».

٦٣٣٤ ـ عن أنس قال: قالت أمُ سُليم للنبيِّ ﷺ: أنسٌ خادمُك. قال: اللهمَّ أكثرْ مالهُ وولَده، وباركْ له فيما أعطيتَه».

٦٣٣٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يَقرأ فقال: رحمَهُ الله، لقد أذكرَني كذا وكذا آيةً أسقَطْتُها في سورة كذا وكذا».

٦٣٣٦ ـ عن عبدِ الله قال: قسمَ النبيُّ ﷺ قَسماً، فقال رجلٌ: إنَّ هذهِ لقسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ الله، فأخبرتُ النبيَّ، فغضِبَ حتى رأيتُ الغضَبَ في وَجهِهِ وقال: يرحمُ اللهُ موسى لقد أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصبر».

في هذه الترجمة إشارة إلى رد ما جاء عن ابن عمر: أخرج ابن أبي شيبة والطبري من طريق سعيد بن يسار قال: ذكرت رجلا عند ابن عمر فترحمت عليه فلهز في صدري وقال لي: ابدأ بنفسك.

وعن إبراهيم النخعي: كان يقال إذا دعوت فابدأ بنفسك، فإنك لا تدري في أي دعاء يستجاب لك.

وأحاديث الباب ترد على ذلك ويؤيدها ما أخرجه مسلم وأبو داود: «مامن مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك مثل ذلك».

وأما ما أخرجه الترمذي من حديث أبيِّ بن كعب رفعه «إن النبي ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه، وهو عند مسلم في أول قصة موسى والخضر ولفظه «وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه» ويؤيد هذا القيد أنه ﷺ دعا لغير نبي فلم يبدأ بنفسه كقوله في قصة هاجر الماضية في المناقب «يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا» وقد تقدم حديث أبي هريرة «اللهم أيده بروح القدس» يريد حسان بن ثابت وحديث ابن عباس «اللهم فقهه في الدين» وغير ذلك من الأمثلة، مع أن الذي جاء في حديث أبي لم يطرد فقد ثبت أنه دعا لبعض الأنبياء فلم يبدأ بنفسه كما مر في المناقب من حديث أبي هريرة، يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد».

قوله (خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فقال رجل من القوم) هو عمر بن الخطاب، وعامر هو ابن الأكوع عم سلمة راوي الحديث، وقد تقدم بيان ذلك كله في غزوة خيبر[١] من كتاب المغازي، وسبب قول عمر «لو لا متعتنا به» وأن ذلك ورد مصرحاً به في صحيح مسلم، وأما ابن عبد البر فأورده مورد الاستقراء فقال: «كانوا عرفوا أنه ما استرحم لإنسان قط في غزاة تخصه إلا استشهد، فلذا قال عمر لولا أمتعتنا بعامر».

(١) كتاب المغازي باب / ٣٨ ح ٤١٩٦ - ٣ / ٣٤٦

قوله (وهو نُصُب) هو الصنم.

قوله (رجلا يقرأ في المسجد) هو عباد بن بشر كما تقدم في الشهادات، وتقدم شرح المتن في فضائل القرآن.

وقوله فيه «لقد أذكرني كذا وكذا آية» قال الجمهور: يجوز على النبي ﷺ أن ينسى شيئاً من القرآن بعد التبليغ لكنه لا يقر عليه، وكذا يجوز أن ينسى ما لا يتعلق بالإبلاغ، ويدل عليه قوله تعالى {سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله}.

٢٠ ـ باب ما يُكرَهُ من السَّجع في الدُّعاء

٦٣٣٧ ـ عنِ ابن عباسٍ قال: حدِّث الناسَ كلَّ جُمعةٍ مرَّةً، فإن أبَيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآنَ، ولا ألفينَّك: تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتَقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثهم فتُملُّهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يَشتهونهُ. فانظرِ السجعَ من الدعاءِ فاجتنِبه، فإني عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب».

قوله (باب ما يكره من السجع في الدعاء) السجع هو موالاة الكلام على روي واحد.

وقال الأزهري: هو الكلام المقفَّى من غير مراعاة وزن.

قوله (فلا[1]ألفينَّك) أي لا أجدنك.

وفيه كراهة التحديث عند من لا يقبل عليه؛ والنهي عن قطع حديث غيره، وأنه لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه ويحدث من يشتهي بسماعه لأنه أجدر أن ينتفع به.

قوله (وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه) أي لا تقصد إليه ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء.

قوله (لا يفعلون إلا ذلك) أي ترك السجع.

ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله ﷺ في الجهاد «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب،» وكقوله «صدق وعده، وأعز جنده» الحديث وكقوله «أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع» وكلها صحيحة.

---

(١) رواية الباب واليونينية "ولاألفينك"

٢١ ـ باب ليَعْزِمِ المسألةَ، فإنهُ لا مُكرهَ له

٦٣٣٨ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: إذا دعا أحدُكم فليَعزم المسألةَ، ولا يَقولنَّ اللهم إن شِئتَ فأعطني، فإنه لا مُستكرِهَ له».

[الحديث ٦٣٣٨ – طرفه في: ٧٤٦٤]

٦٣٣٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: لا يقولنَّ أحدُكم اللهم اغفِرْ لي إن شئتَ اللهم ارحمني إن شِئت، ليعزِم المسألة، فإنهُ لا مُستكرِهَ له».

الحديث ٦٣٣٩ – طرفه في: ٧٤٧٧]

قوله (باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) المراد بالمسألة الدعاء.

قوله (فليعزم المسألة) ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان مأموراً في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى. وقيل: معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة.

قوله (فإنه لا مستكره له) في حديث أبي هريرة «فإنه لا مكره له» وهما بمعنى، والمراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكرامه على الشيء فيخفف الأمر عليه ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة.

وقال ابن بطال: في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريما، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: {رب أنظرني إلى يوم يبعثون} وقال الداودي: معنى قوله «ليعزم المسألة» أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثني، ولكن دعاء البائس الفقير.

٢٢ ـ باب يُستَجاب للعبد ما لم يَعْجل

٦٣٤٠ ـ عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: يُستَجابُ لأحدِكم مالم يَعْجل، يقول: دعَوتُ فلم يُستجبْ لي».

قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمان بدعائه، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء.

وقد وقع في رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل، قيل: وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء، ومعنى قوله يستحسر: ينقطع.

وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أنه يلازم الطلب ولاييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار، حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة، ومن جملة آداب الدعاء:

تحري الأوقات الفاضلة كالسجود، وعند الأذان، ومنها تقديم الوضوء والصلاة، واستقبال القبلة، ورفع اليدين، وتقديم التوبة، والاعتراف بالذنب، والاخلاص، وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ، والسؤال بالأسماء الحسنى، وأدلة ذلك ذكرت في هذا الكتاب.

٢٣ ـ باب رَفع الأيدِي في الدُّعاء

وقال أبو موسى الأشعريُّ: دعا النبيُّ ﷺ، ثم رَفَع يدَيه ورأيتُ بياضَ إبْطيه

وقال ابنُ عمر: رفع النبيُّ ﷺ يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صَنع خالد

٦٣٤١ ـ عن يحيى بن سعيد وشريك سمعا أنساً عن النبي ﷺ رفع يدَيه حتى رأيتُ بياضَ إبطَيه».

قوله (باب رفع الأيدي في الدعاء) أي على صفة خاصة.

قوله (وقال ابن عمر رفع النبي ﷺ يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) وقد تقدم موصولاً مع شرحه في المغازي بعد غزوة الفتح، وخالد المذكور هو ابن الوليد.

وقد أخرج أبو داود والترمذي وحسّنه وغيرهما من حديث سلمان رفعه «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفرا».

وساق الطبري ذلك بأسانيده عنهم، وذكر ابن التين عن عبد الله بن عمر بن غانم أنه نقل عن مالك أن رفع اليدين في الدعاء ليس من أمر الفقهاء، قال: وقال في «المدونة» ويختص الرفع بالاستسقاء ويجعل بطونهما إلى الأرض، وأما ما نقله الطبري عن ابن عمر فإنما أنكر رفعهما إلى حذو المنكبين وقال: ليجعلهما حذو صدره: كذلك أسنده الطبري عنه أيضاً، وعن

ابن عباس أن هذه صفة الدعاء، وأخرج أبو داود والحاكم عنه من وجه آخر قال: المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعاً، وأخرج الطبري من وجه آخر عنه قال: يرفع يديه حتى يجاوز بهما رأسه. وقد صح عن ابن عمر خلاف ما تقدم أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» من طريق القاسم بن محمد «رأيت ابن عمر يدعو عند القاص يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه باطنهما مما يليه وظاهرهما مما يلي وجهه».

٢٤ ـ باب الدعاء غيرَ مُستقبل القِبلة

٦٣٤٢ ـ عن أنس رضيَ الله عنه قال: بيْنا النبيُّ ﷺ يخطبُ يومَ الجمعة فقام رجل فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يَسقِينا. فتغيمتِ السماءُ ومُطرنا حتى ما كاد الرجلُ يَصلُ إلى مَنزله. فلم تزل تمطرُ إلى الجمعةِ المقبلة، فقام ذلك الرجلُ -أو غيرُه- فقال: ادعُ اللهَ أن يَصرفه عنَّا، فقد غَرِقنا. فقال: اللهم حَوالينا ولا علينا. فجعل السحابُ يَتقطع حول المدينة ولا يمطر أهلَ المدينة».

قوله (باب الدعاء غير مستقبل القبلة) ذكر فيه حديث قتادة عن أنس.

وقد تقدم شرحه في الاستسقاء، ووجه أخذه من الترجمة من جهة أن الخطيب من شأنه أن يستدبر القبلة، وأنه لم ينقل أنه ﷺ لما دعا في المرتين استدار.

٢٥ ـ باب الدعاء مستقبلَ القبلة

٦٣٤٣ ـ عن عبدِ الله بن زيدٍ قال: خرَجَ النبيُّ ﷺ إلى هذا المصلى يَستَسقِي، فدَعا واستَسقى. ثم استقبل القبلةَ وقلبَ رداءه».

قوله (باب الدعاء مستقبل القبلة) ذكر فيه حديث عبد الله بن زيد قال: «خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه».

وقد ورد في استقبال القبلة في الدعاء من فعل النبي ﷺ عدة أحاديث: منها حديث عمر عند الترمذي وقد قدمته في «باب رفع اليدين في الدعاء» ولمسلم والترمذي من حديث ابن عباس عن عمر «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه» الحديث وفي حديث ابن مسعود «استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش» الحديث متفق عليه.

٢٦ ـ باب دعوةِ النبيِّ ﷺ لخادمهِ بطولِ العُمرِ وبكثرةِ ماله

٦٣٤٤ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: قالت أمي: يا رسولَ الله، خادمُك أنسٌ ادعُ اللهَ

له. قال: اللهمَّ أكثِرْ مالهُ وولَده، وبارِك له فيما أعطيتَه».

قوله (باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله) ذكر فيه حديث أنس.

وليس في شيء منها ذكر العمر، فقال بعض الشراح: مطابقة الحديث للترجمة أن الدعاء بكثرة الولد يستلزم حصول طول العمر.

الجواب أنه أشار كعادته إلى ماورد في بعض طرقه، فأخرج في «الأدب المفرد» من وجه آخر عن أنس قال: «قالت أم سليم -وهي أم أنس- خويدمك ألا تدعو له؟ فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له» فأما كثرة ولد أنس وماله فوقع عند مسلم في آخر هذا الحديث «قال أنس: فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم»، وتقدم في حديث «الطاعون شهادة لكل مسلم» في كتاب الطب قول أنس «أخبرتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلى يوم مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون» وقال النووي في ترجمته: كان أكثر الصحابة أولاداً.

كان له بستان يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، ورجاله ثقات، وأما طول عمر أنس فقد ثبت في الصحيح أنه كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قاله خليفة وهو المعتمد.

٢٧ ـ باب الدُّعاءِ عندَ الكَرْب

٦٣٤٥ ـ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يَدْعو عندَ الكرب يقول: لا إلهَ إلا اللهُ العظيمُ الحليم، لا إله إلا اللهُ ربُّ السماواتِ والأرض وربُّ العَرش العظيم».

[الحديث ٦٣٤٥ – أطرافه في: ٦٣٤٦، ٧٤٢١، ٧٤٣١]

٦٣٤٦ ـ عن ابن عباسٍ أن رسولَ الله ﷺ كان يقول عند الكرْب: لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليم، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرض وربُّ العرشِ الكريم».

قوله (باب الدعاء عند الكرْب) هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه.

قوله (كان[1] يدعو عند الكرب) أي عند حلول الكرب.

قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، والعظيم الذي لا شيء عليه، والكريم المعطي فضلاً، وسيأتي لذلك مزيد في شرح الأسماء الحسنى قريباً، وقال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على

---

(١) رواية الباب واليونينية "كان النبي ﷺ يدعو".

التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية.

قال الطبري: معنى قول ابن عباس «يدعو» وإنما هو تهليل وتعظيم يحتمل أمرين: أحدهما أن المراد تقديم ذلك قبيل الدعاء كما ورد من طريق يوسف بن عبد الله بن الحارث المذكورة وفي آخره «ثم يدعو».

قال الطبري: ويؤيد هذا ما روى الأعمش عن إبراهيم قال: كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب؛ وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء.

ثانيهما ما أجاب به ابن عيينة فيما حدثنا حسين بن حسن المروزي قال: «سألت ابن عيينة عن الحديث الذي فيه أكثر ما كانو يدعو به النبي ﷺ بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث فقال سفيان: هو ذكر، وليس فيه دعاء، ولكن قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل. من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

قلت: ويؤيد الاحتمال الثاني حديث سعد بن أبي وقاص رفعه «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له» أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم، وفي لفظ الحاكم «فقال رجل: أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع إلى قول الله تعالى: {وكذلك ننجي المؤمنين}.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج بعد الشدة» له من طريق عبد الملك بن عمير قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حبان انظر الحسن بن الحسن فاجلده مائة جلدة وأوقفه للناس، قال فبعث إليه فجيء به فقام إليه علي بن الحسين فقال: يا ابن عم تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك، فقالها: فرفع إليه عثمان رأسه فقال: أرى وجه رجل كُذِب عليه، خلوا سبيله، فسأكتب إلى أمير المؤمنين بعذره فأطلق.

وأخرج النسائي والطبري من طريق الحسن بن الحسن بن علي قال: لما زوج عبد الله بن جعفر ابنته قال لها: إن نزل بك أمر فاستقبليه بأن تقولي: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين.

قال الحسن: فأرسل إليَّ الحجاج فقلتهن فقال: والله لقد أرسلت إليك وأنا أريد أن أقتلك، فلأنت اليوم أحب إليَّ من كذا وكذا. وزاد في لفظ: فسل حاجتك.

ولأبي داود وصححه ابن حبان عن أبي بكرة رفعه «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت».

٢٨ ـ باب التعوُّذِ من جَهدِ البَلاء

٦٣٤٧ ـ عن أبي هريرةَ قال: كان النبيُّ ﷺ يَتعوَّذُ من جَهدِ البَلاء، ودَرَكِ الشقاء، وسوءِ القضاء، وشماتةِ الأعداء».

[الحديث ٦٣٤٧ - طرفه في: ٦٦١٦]

قوله (باب التعوذ من جهد البلاء) الجهد: المشقة.

قوله (ودرك الشقاء) هو الإدراك واللحاق، والشقاء هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك، وقال ابن بطال وغيره: جهد البلاء كل ما أصاب المرء من شدة مشقة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه. وقيل المراد بجهد البلاء قلة المال وكثرة العيال كذا جاء عن ابن عمر، والحق أن ذلك فرد من أفراد جهد البلاء، وقيل هو ما يختار الموت عليه، قال: ودرك الشقاء يكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، وكذلك سوء القضاء عام في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد، قال: والمراد بالقضاء هنا المقضي، لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه.

قال ابن بطال: وشماتة الأعداء ما ينكأ القلب ويبلغ من النفس أشد مبلغ، وإنما تعوذ النبي ﷺ من ذلك تعليماً لأمته، فإن الله تعالى كان آمنه من جميع ذلك، وبذلك جزم عياض.

قلت: ولا يتعين ذلك، بل يحتمل أن يكون استعاذ بربه من وقوع ذلك بأمته.

وقال النووي: وفي الحديث دلالة لاستحباب الاستعاذة من الأشياء المذكورة، وأجمع على ذلك العلماء في جميع الأعصار والأمصار، وفي الحديث أن الكلام المسجوع لا يكره إذا صدر عن غير قصد إليه ولا تكلف، قاله ابن الجوزي، قال: وفيه مشروعية الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد لاحتمال أن يكون مما قُضي، فقد يقضى على المرء مثلاً بالبلاء ويقضى أنه إن دعا كشف، فالقضاء محتمل للدافع والمدفوع، وفائدة الاستعاذة والدعاء بإظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه، وقد تقدم ذلك مبسوطاً في أوائل كتاب الدعوات.

٢٩ ـ باب دُعاء النبيِّ ﷺ: اللهمَّ الرفيقَ الأعلى

٦٣٤٨ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ وهو صحيحٌ: لن يُقبضَ نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مَقعدَهُ من الجنَّة، ثم يُخيَّر. فلما نزَل به -ورأسه على فخذي- غُشيَ عليه ساعةً، ثم أفاقَ، فأشخَصَ بصَرَهُ إلى السقفِ ثم قال: اللهمَّ الرفيقَ الأعلى، قلتُ: إذا لا يَختارُنا، وعلمتُ أنه الحديثُ الذي كان يُحدِّثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلكَ آخرَ كلمة تَكلم بها: اللهمَّ الرفيقَ الأعلى».

وقد تقدم شرحه في أواخر المغازي[(١)].

٣٠ - باب الدعاء بالموتِ والحياة

٦٣٥٠ - عن قيس قال: «أتيتُ خَبّاباً وقدِ اكتوَى سبعاً، قال: لولا أنَّ رسولَ الله ﷺ نهانا أن نَدْعوَ بالموت لدَعَوتُ به».

٦٥٣٠ - عن قيس: «قال أتيتُ خَبّاباً وقدِ اكتوى سبعاً في بطنه، فسمعتهُ يقول: لولا أنَّ النبيَّ ﷺ نهانا أن نَدعوَ بالموت لدَعوتُ به».

٦٣٥١ - عن أنس رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: لا يتَمنينَّ أحدُكم الموتَ لضُرٍ نزلَ به، فإنْ كان لابدَّ مُتمنِّياً للموت فْليقل: اللهمَّ أحيني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي».

قوله (باب الدعاء بالموت والحياة) وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب عيادة المرضى[(٢)].

٣١ - باب الدعاء للصبيان بالبركة، ومَسح رُءوسِهم

وقال أبو موسى: وُلدَ لي غلام ودعا له النبيُّ ﷺ بالبركة

٦٣٥٢ - عن السائبِ بن يزيدَ قال: ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ ابن أختي وجع. فمسحَ رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضأ فشربتُ من وَضوئه، ثم قمتُ إلى خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتِفَيه مثلَ زِرِّ الحجَلة».

٦٣٥٣ - عن أبي عُقيلٍ أنه كان يَخرجُ به جده عبدُ الله بن هشام من السوق -أو إلى السوق- فيَشترى الطعامَ، فيَلقاهُ ابنُ الزبير وابنُ عمرَ فيقولان: أشركنا، فإنَّ النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم، فربما أصابَ الراحلةَ كما هيَ، فيَبعثُ بها إلى المنزل».

٦٣٥٤ - عن محمودُ بن الربيع، وهو الذي مجَّ رسولُ الله ﷺ في وَجهِهِ وهو غلام مِن بئرهم».

٦٣٥٥ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ ﷺ يؤتى بالصبيانِ فيدعو لهم، فأُتي بصبيٍّ فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعهُ أياه، ولم يَغسله».

٦٣٥٦ - عن عبدِ الله بن ثَعلبةَ بن صُعَير -وكان رسولُ الله ﷺ قد مسحَ عنه- أنه رأى سعدَ بن أبي وقاصٍ يوترُ بركعة».

قوله (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رءوسهم) وورد في فضل مسح رأس اليتيم حديث أخرجه أحمد.

(١) كتاب المغازي باب /٨٤ ح ٤٤٦٣ - ٣ / ٤٤٥.
(٢) كتاب المرضى باب /١٩ ح ٥٦٧٢ - ٤ / ٣٠٥.

من حديث أبي هريرة «أن رجلاً شكى إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: أطعم المسكين وامسح رأس اليتيم» وسنده حسن.

٣٢ ـ باب الصلاةِ على النبيِّ ﷺ

٦٣٥٧ ـ عن عبدِ الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِيني كعبُ بن عُجرةَ فقال: ألا أهدي لكَ هديَّةً؟ إنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ علينا فقلنا: يا رسولَ الله، قد عَلِمنا كيفَ نُسلِّمُ عليك، فكيف نُصلي عليك؟ قال: قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صلَّيتَ على آل إبراهيمَ إنك حَميدٌ مَجيد، اللهمَّ باركْ على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركتَ على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد».

٦٣٥٨ ـ عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: قلنا يارسولَ الله، هذا السلامُ عليك فكيفَ نُصلّي؟ قال: قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدِكَ ورسولك كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيم».

قوله (باب الصلاة على النبي ﷺ) هذا الإطلاق يحتمل حكمها وفضلها وصفتها ومحلها، والاقتصار على ما أورده في الباب يدل على إرادة الثالث، وقد يؤخذ منه الثاني، أما حكمها فحاصل ما وقفت عليه من كلام العلماء فيه عشرة مذاهب: أولها قول ابن جرير الطبري إنها من المستحبات وادعى الإجماع على ذلك.

ثانيها مقابله وهو نقل ابن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة، ثالثها تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي من الحنفية وابن حزم وغيرهما، وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، رابعها تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل، قاله الشافعي.

ثامنها كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية، وقال ابن العربي من المالكية إنه الأحوط.

قوله (صل) تقدم في أواخر تفسير الأحزاب عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند ملائكته، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له، وعند ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار.

وعن ابن عباس أن معنى صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار.

ونقل عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة، وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي ﷺ وبين سائر المؤمنين حيث

قال الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي} وقال قبل ذلك في السورة المذكورة: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته} ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ماليس في غيرها، وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى {صلوا عليه} ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى.

قوله (كما صليت على آل إبراهيم) اشتهر السؤال عن موقع التشبيه مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه لأن محمداً ﷺ وحده أفضل من آل إبراهيم ومن إبراهيم ولا سيما قد أضيف إليه آل محمد، وقضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره، وأجيب عن ذلك بأجوبة: الأول أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم، وقد أخرج مسلم من حديث أنس «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم» أشار إليه ابن العربي وأيده بأنه سأل لنفسه التسوية مع إبراهيم وأمر أمته أن يسألوا له ذلك فزاده الله تعالى بغير سؤال أن فضله على إبراهيم.

وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل، الثاني أنه قال ذلك تواضعاً وشرع ذلك لأمته ليكتسبوا بذلك الفضيلة، الثالث أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح} وقوله: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} وهو كقول القائل أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره، وقال النووي بعد أن ذكر بعض هذه الأجوبة: أحسنها ما نسب إلى الشافعي والتشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع، وقال ابن القيم بعد أن زيف أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالجموع: وأحسن منه أن يقال هو ﷺ من آل إبراهيم، وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى {إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} قال: محمد من آل إبراهيم فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل إبراهيم عموماً فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له، وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه.

قوله (على آل إبراهيم) هم ذريته من إسماعيل واسحاق كما جزم به جماعة من الشراح، وإن ثبت أن إبراهيم كان له أولاد من غير سارة وهاجر فهم داخلون لا محالة. ثم إن المراد

المسلمون منهم بل المتقون، فيدخل فيهم الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون دون من عداهم.

قوله (وبارك) المراد بالبركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل المراد التطهير من العيوب والتزكية.

قوله (إنك حميد مجيد) أما الحميد فهو فعيل من الحمد بمعنى محمود. وأما المجيد فهو من المجد وهو صفة من كمل في الشرف، وهو مستلزم للعظمة والجلال كما أن الحمد يدل على صفة الإكرام، واستدل بهذا الحديث على إيجاب الصلاة على النبي ﷺ في كل الصلاة، والذي قاله الشافعي في «الأم» فرض الله الصلاة على رسوله بقوله {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي ﷺ بذلك، وأما فقهاء الأمصار فلم يتفقوا على مخالفة الشافعي في ذلك بل جاء عن أحمد روايتان، وعن اسحاق الجزم به في الحمد فقال: إذا تركها يعيد، وأما الحنفية فألزم بعض شيوخنا من قال منهم بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي في «شرح الهداية» عن أصحاب «المحيط» و«العقد» و«التحفة» و«المغيث» من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره في آخر التشهد، لكن لهم أن يلتزموا ذلك لكن لا يجعلونه شرطاً في صحة الصلاة، وقد انتصر ابن القيم للشافعي فقال: أجمعوا على مشروعية الصلاة عليه في التشهد، وإنما اختلفوا في الوجوب والاستحباب، وفي تمسك من لم يوجبه بعمل السلف الصالح نظر، لأن عملهم كان بوفاقه، إلا إن كان يريد بالعمل الاعتقاد فيحتاج إلى نقل صريح عنهم بأن ذلك ليس بواجب وأنى يوجد ذلك؟.

ومن المواطن التي اختلف في وجوب الصلاة عليه فيها التشهد الأول وخطبة الجمعة وغيرها من الخطب وصلاة الجنازة، ومما يتأكد ووردت فيه أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جيدة عقب إجابة المؤذن وأول الدعاء وأوسطه وآخره وفي أوله آكد وفي آخر القنوت وفي أثناء تكبيرات العيد وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الاجتماع والتفرق وعند السفر والقدوم وعند القيام لصلاة الليل وعند ختم القرآن وعند الهم والكرب وعند التوبة من الذنب وعند قراءة الحديث وتبليغ العلم والذكر وعند نسيان الشيء، وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة في حديث صحيح كما تقدم.

٣٣ ـ باب هل يُصلَّى على غير النبي ﷺ؟ وقولهُ تعالى {وصلِّ عليهم؛ إن صلاتكَ سكَنٌ لهم} /التوبة:١٠٣/.

٦٣٥٩ ـ عن ابن أبي أوفى قال: كان إذا أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ بصدقته قال: اللهمَّ صلِّ

عليه. فأتاهُ أبي بصدَقتهِ فقال: اللهمَّ صل على آلِ أبي أوفى».

٦٣٦٠ - عن أبي حُمَيد الساعديِّ أنهم قالوا: يارسولَ الله، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهمَّ صلِّ على محمد وأزواجهِ وذريّته كما صليتَ على آل إبراهيمَ، وبارك على محمد وأزواجهِ وذريّتهِ كما باركتَ على آل إبراهيمَ، إنكَ حميد مجيد».

قوله (باب هل يصلّى على غير النبي ﷺ؟) أي استقلالا أو تبعا، ويدخل في الغير الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

وقد ثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمان ابن حكيم عن عكرمة عنه قال: «ما أعلم الصلاة تنبغي على أحد من أحد إلا على النبي ﷺ» وهذا سند صحيح، وحُكي القول به عن مالك وقال: ما تعبدنا به.

وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز، وعن مالك يكره، وقال عياض: عامة أهل العلم على الجواز، وقال سفيان يكره أن يصلي إلا على نبي.

قال عياض: والذي أميل إليه قول مالك وسفيان وهو قول المحققين من المتكلمين والفقهاء قالوا: يذكر غير الأنبياء بالرضا والغفران والصلاة على غير الأنبياء يعني استقلالاً لم تكن من الأمر المعروف وإنما أحدثت في دولة بني هاشم، وأما الملائكة فلا أعرف فيه حديثاً نصا، وإنما يؤخذ ذلك من الذي قبله إن ثبت، لأن الله تعالى سماهم رسلا، وأما المؤمنون فاختلف فيه فقيل: لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصة، وحكى عن مالك كما تقدم، وقالت طائفة لا تجوز مطلقاً استقلالا وتجوز تبعاً فيما ورد به النص أو ألحق به لقوله تعالى {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} ولأنه لما علمهم السلام قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ولما علّمهم الصلاة قصَر ذلك عليه وعلى أهل بيته، وهذا القول اختاره القرطبي في «المفهم» وأبو المعالي من الحنابلة، وقد تقدم تقريره في تفسير سورة الأحزاب، وهو اختيار ابن تيمية من المتأخرين، وقالت طائفة: تجوز تبعاً مطلقاً ولا تجوز استقلالاً وهذا قول أبي حنيفة وجماعة، وقالت طائفة تكره استقلالاً لا تبعاً وهي رواية عن أحمد، وقالت طائفة: تجوز مطلقا، وهو مقتضى صنيع البخاري، وقال ابن القيم: المختار أن يصلى على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ وآله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفردا في بعض الأحايين من غير أن يتخذ شعاراً لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ بقوله ذلك لهم وهم من أدّى زكاته إلا نادراً كما في قصة زوجة جابر وآل سعد بن عبادة.

٣٤ ـ باب قول النبي ﷺ «مَن آذَيتهُ فاجعلهُ له زكاة ورحمة»

٦٣٦١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: اللهمَّ فأيّما مؤمن سبَبْته فاجعَل ذلك لهُ قُربة إليك يومَ القيامة».

وفي الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم، وهذا كله في حق معين في زمنه واضح، وأما ماوقع منه بطريق التعميم لغير معين حتى يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ فما أظنه يشمله، والله أعلم.

٣٥ ـ باب التعوُّذِ منَ الفتن

٦٣٦٢ ـ عن أنس رضيَ الله عنه سألوا رسولَ الله ﷺ حتى أحفَوْهُ المسألةَ، فغَضِب، فصعِدَ المنبرَ فقال: لا تسألوني اليومَ عن شيء إلا بينتهُ لكم. فجعلتُ أنظرُ يميناً وشمالا، فإذا كلُّ رجل لافٌ رأسَه في ثوبِهِ يبكي، فإذا رجلٌ كان إذا لاحى الرجالَ يدعى لغير أبيه، فقال يا رسولَ الله، مَن أبي؟ قال: حُذافة. ثمَّ أنشأ عمرُ فقال: رضينا بالله رَبّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ رسولا. نعوذُ باللهِ من الفتن. فقال رسولُ الله ﷺ: ما رأيتُ في الخير والشر كاليوم قط، إنه صُوِّرَت لي الجنةُ والنار حتى رأيتهما وراءَ الحائط».

قوله (باب التعوذ من الفتن) ستأتي هذه الترجمة وحديثها في كتاب الفتن(١).

وفي الحديث أن غضب رسول الله ﷺ لا يمنع من حكمه فإنه لا يقول الا الحق في الغضب والرضا، وفيه فهم عمر وفضل علمه.

٣٦ ـ باب التعوُّذِ من غَلبةِ الرجال

٦٣٦٣ ـ عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي طلحة: التمس لنا غُلاماً من غِلمانِكم يَخدُمني. فخرَجَ بي أبو طلحة يُردِفُني وراءه، فكنتُ أخدُمُ رسولَ الله ﷺ كلما نزَل، فكنتُ أسمعُهُ يكثرُ أن يقول: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والبُخلِ والجبْن، وضَلَع الدَّين وغلبةِ الرجال. فلم أزل أخدُمهُ حتى أقبلْنا من خَيبَرَ وأقبلَ بصَفيةَ بنتِ حُييٍّ قد حازَها، فكنتُ أراهُ يَحوِّي وراءهُ بعباءةٍ - أو كِساء- ثم يردِفها وراءه. حتى إذا كنَّا بالصَّهباء صَنعَ حَيساً في نِطعٍ، ثم أرسَلَني فدعوتُ رجالا فأكلوا، وكان ذلكَ بناءَهُ بها. ثمَّ أقبلَ حتى بَدا له أحُد، قال: هذا جبلٌ يُحبنا ونحبه. فلما أشرَفَ على المدينةِ قال: اللهمَّ إني أُحَرِّمُ ما بين جبلَيها، مثلما حرَّمَ إبراهيمُ مكة. اللهمَّ بارِك لهم في مُدِّهم وصاعِهم».

قوله (وضَلَع الدين) وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء ولا سيما مع المطالبة.

(١) كتاب الفتن باب / ١٥ ح ٧٠٨٩ - ٥ / ٣٨٤

وقال بعض السلف ما دخل هم الدين قلباً إلا أذهب من العقل مالا يعود إليه.

قوله (وغلبة الرجال) أي شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجا ومرجا

٣٧ ـ باب التعوُّذِ من عَذاب القبر

٦٣٦٤ ـ عن موسى بن عُقبة قال: «سمعتُ أمَّ خالد بنتَ خالد -قال: ولم أسمع أحداً سمِعَ من النبي ﷺ غيرَها- قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يتعوذ من عذابِ القبر».

قوله (باب التعوذ من عذاب القبر) تقدم الكلام عليه في أواخر كتاب الجنائز.

٦٣٦٥ ـ عن مُصعَبٍ قال: «كان سعدٌ يأمرُ بخمسٍ ويَذكرهنَّ عن النبيِّ ﷺ أنه كان يأمرُ بهنَّ: اللهم إني أعوذ بكَ من البُخل، وأعوذ بكَ من الجُبن، وأعوذ بكَ أن أردَّ إلى أرذَلِ العُمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا -يعني فتنةَ الدَّجال- وأعوذ بك من عذاب القبر».

٦٣٦٦ ـ عن عائشة قالت: دَخلَتْ عليَّ عجوزانِ من عُجُز يهودِ المدينة فقالتا لي: إن أهلَ القبور يعذَّبونَ في قبورِهم، فكذبتُهما، ولم أنعمْ أن أصَدِّقَهما. فخرَجتا. ودَخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فقلتُ: يارسولَ الله، إن عجوزَين .. وذكرتُ له. فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تَسمعُهُ البهائمُ كلها. فما رأيتهُ بعد في صلاة إلا يَتعوَّذ من عذابِ القبر».

قوله (دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة) عُجُز جمع عجوز ويجمع أيضاً على عجائز.

وقوله «تسمعُهُ البهائم» تقدم شرحه مستوفى، وبينت طريق الجمع بين جزمه ﷺ هنا بتصديق اليهوديتين في إثبات عذاب القبر وقوله في الرواية «عائذا بالله من ذلك» وكلا الحديثين عن عائشة، وحاصله أنه لم يكن أُوحي إليه أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال: «إنما يفتن يهود» فجرى على ما كان عنده من علم ذلك، ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه وعلمه وأمر بإيقاعه في الصلاة ليكون أنجح في الإجابة، والله أعلم.

٣٨ ـ باب التعوُّذ من فِتنةِ المَحيا والممات

٦٣٦٧ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان نبيُّ الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بكَ من العَجز والكسل، والجبن والهَرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بكَ من فِتنةِ المَحيا والممات».

قوله (باب التعوذ من فتنة المحيا) أي زمن الحياة (والممات) أي زمن الموت من أول النزع وهلم جرا ذكر فيه حديث أنس وفيه ذكر العجز والكسل والجبن، وقد تقدم الكلام عليه في الجهاد.

والهرم والمراد به الزيادة في كبر السن، وعذاب القبر وقد مضى في الجنائز.

وأما فتنة المحيا والممات فقال ابن بطال هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن

يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعا عن أمته وتشريعاً لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية.

قلت: وقد تقدم شرح المراد بفتنة المحيا وفتنة الممات في «باب الدعاء قبل السلام» في أواخر صفة الصلاة قبيل كتاب الجمعة، وأصل الفتنة الامتحان والاختبار، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره.

وفي الغفلة عن المطلوب كقوله {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} وتستعمل في الإكراه على الرجوع عن الدين كقوله تعالى {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات}. قلت: واستعملت أيضاً في الضلال والإثم والكفر والعذاب والفضيحة، ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن.

٣٩ ـ باب التعوُّذِ من المأثم والمغْرَم

٦٣٦٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسلِ والهَرم، والمأثم والمغرم، ومن فِتنةِ القبر وعذاب القبر، ومن فِتنةِ النار وعذابِ النار، ومن شر فِتنةِ الغِنى، وأعوذ بك من فِتنةِ الفقر، وأعوذ بك من فتنةِ المسيح الدَّجال. اللهم اغسِلْ عني خَطايايَ بماءِ الثلج والبرَد، ونَقِّ قلبي من الخطايا كما نَقيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس، وباعِد بيني وبين خَطايايَ كما باعَدْتَ بينَ المشرق والمغرب».

قوله (باب التعوذ من المأثم والمغرم) والمأثم ما يقتضي الإثم والمغرم ما يقتضي الغرم، وقد تقدم بيانه في باب «الدعاء قبل السلام» من كتاب الصلاة.

قوله (والمأثم والمغرم والمراد الإثم والغرامة، وهي ما يلزم الشخص أداؤه كالدّين.

قوله (ومن فتنة القبر) هي سؤال الملكين.

قوله (ومن فتنة النار) هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى {كلما أُلقيَ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير} وسيأتي الكلام عليه في «باب الاستعاذة من أرذل العمر» بعد ثلاثة أبواب.

قوله (ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر)

قال الغزالي: فتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حله ويمنعه من واجبات انفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي حالة تورط.

وقيل المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى ولا عكسه.

قوله (اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد الخ) تقدم شرحه في الكلام على حديث أبي هريرة في أوائل صفة الصلاة، وحكمة العدول عن الماء الحار إلى الثلج والبرد مع أن الحار في العادة أبلغ في إزالة الوسخ الإشارة إلى أن الثلج والبرد ماآن طاهران لم تمسهما الايدي ولا يمتهنهما الاستعمال، فكان ذكرهما آكد في هذا المقام، أشار إلى هذا الخطابي.

٤٠ ـ باب الاستعاذةِ من الجبنِ والكَسل

{كُسالى}/النساء:١٤٢/. وكَسالى واحد

٦٣٦٩ ـ عن أنس قال: كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك منَ الهَمِّ والحَزَن، والعَجزِ والكَسل، والجبن والبخل، وضَلَع الدَّين، وغَلبةِ الرجال».

قوله (باب الاستعاذة من الجبن والكسل) تقدم شرحهما في كتاب الجهاد.

قوله (فكنت أسمعه يكثر أن[1] يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم إلى قوله والجبن) تقدم شرح هذه الأمور الستة، ومحصله أن الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال؛ والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط، والبخل ضد الكرم، والجبن ضد الشجاعة.

٤١ ـ باب التعوُّذِ من البُخل. البُخل والبَخَل واحد، مثل الحُزن والحَزَن

٦٣٧٠ ـ عن سعدِ بن أبي وقاصٍ رضيَ الله عنه كان يأمر بهؤلاءِ الخمسِ ويُحدِّثُهنَّ عن النبيِّ ﷺ: اللهمَّ إني أعوذ بك منَ البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بكَ أن أُرَدَّ إلى أرذَلِ العمر، وأعوذ بك من فِتنةِ الدُّنيا، وأعوذ بك من عذابِ القبر».

٤٢ ـ باب التعوُّذ من أرذَلِ العُمر. {أراذِلنا} /هود:٢٧/ :سُقّاطنا

٦٣٧١ ـ عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يَتعوَّذُ يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك من الكسَل، وأعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من الهرَم، وأعوذ بكَ من البُخْل».

قوله (باب التعوذ من أرذل العمر أراذلنا سقاطنا) جمع ساقط وهو اللئيم في حسبه ونسبه.

٤٣ ـ باب الدُّعاء برفع الوَباءِ والوَجَع

٦٣٧٢ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: قال النبيُّ ﷺ: اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كما حببتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ، وانقلْ حُمَّاها إلى الجُحْفةِ. اللهم بارك لنا في مُدِّنا وصاعِنا».

٦٣٧٣ ـ عن عامرِ بن سعدٍ أن أباه قال: «عَادَني رسولُ الله ﷺ في حَجَّةِ الوَداع من

(١) رواية الباب واليونينية "كان النبي ﷺ يقول اللهم"

شكوَى أشْفَيتُ منها عَلَى الموت، فقلتُ: يارسولَ الله، بَلَغَ بي ما ترى منَ الوَجَع، وأنا ذو مال، ولا يَرِثني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتصدَّقُ بثُلُثي مالي؟ قال: لا. قلتُ: فبشَطرِه؟ قال: الثُّلثُ كثير، إنكَ إنْ تذَرَ ورثتكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذَرَهم عالةً يَتكففونَ الناس، وإنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجرت بها، حتى ما تجعلُ في فيّ امرأتِك. قلتُ: آأَخلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعملَ عملاً تبتغي به وجهَ الله إلا ازدَدْت درجة ورفعة. ولعلك تخلَّفُ حتى يَنتفِعَ بك أقوامٌ ويُضرُّ بكَ آخرون. اللهم أمضِ لأصحابي هجرَتهم، ولا تردَّهم على أعقابهم. لكنِ البائسُ سعدُ بن خولَة قال سعد: رثى لهُ النبيُّ ﷺ من أن تُوفي بَمكة».

قوله (بابا الدعاء برفع الوباء والوجع) أي برفع المرض عمن نزل به سواء كان عاماً أو خاصا، وقد تقدم بيان الوباء وتفسيره في «باب ما يذكر في الطاعون» من كتاب الطب، وأنه أعم من الطاعون، وأن حقيقته مرض عام ينشأ من فساد الهواء وقد يسمى طاعونا بطريق المجاز، وأوضحت هناك الرد على من زعم أن الطاعون والوباء مترادفان بما ثبت هناك أن الطاعون لا يدخل المدينة وأن الوباء وقع بالمدينة كما في قصة العرنيين.

وشاهد الترجمة من قوله ﷺ «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم» فإن فيه إشارة إلى الدعاء لسعد بالعافية ليرجع إلى دار هجرته وهي المدينة ولا يستمر مقيماً بسبب الوجع بالبلد التي هاجر منها وهي مكة وإلى ذلك الإشارة بقوله «لكن البائس سعد بن خولة الخ» وقد أوضحت في أوائل الوصايا ما يتعلق بسعد بن خولة.

٤٤ ـ باب الاستعاذةِ من أرذَلِ العمر، ومن فتنةِ الدُّنيا، ومن فتنةِ النار

٦٣٧٤ ـ عن عبدِ الملِك عن مُصعبٍ عن أبيه قال: «تَعوَّذوا بكلمات كان النبيُّ ﷺ يتعوذ بهن: اللهم إني أعوذ بك من الجبنِ، وأعوذ بك منَ البخل، وأعوذ بك من أن أُردَّ إلى أرذَل العمر، وأعوذ بك من فتنةِ الدنيا وعذابِ القبر».

٦٣٧٥ ـ عن عائشةَ أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرَم، والمغرَم والمأثم. اللهم إني أعوذُ بك من عذاب النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذابِ القبر، وشرِّ فتنةِ الغنى، وشرِّ فتنة الفقر، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال. اللهم اغسِلْ خَطايايَ بماءِ الثلج والبرد، ونَقِّ قلبي من الخطايا كما يُنقى الثوبُ الأبيض من الدنس، وباعِدْ بيني وبينَ خطايايَ كما باعدْتَ بين المشرقِ والمغرب».

٤٥ ـ باب الاستعاذةِ من فتنةِ الغنى

٦٣٧٦ ـ عن هشام عن أبيه «عن خالتهِ أن النبيَّ ﷺ كان يتعوذ: اللهم إني أعوذ بك

من فتنة النار، ومن عذابِ النار.وأعوذ بك من فتنةِ القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر. وأعوذ بك من فتنةِ الغنى، وأعوذ بك من فتنةِ الفقر، وأعوذ بك من فتنةِ المسيح الدجال».

٤٦ ـ باب التعوذِ من فتنةِ الفقر

٦٣٧٧ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: كان النبيُّ ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذابِ النار، وفتنة القبر وعذاب القبر وشرِّ فتنة الغنى وشرِّ فتنة الفقر. اللهم إني أعوذ بك من شرِّ فتنة المسيح الدجال. اللهم اغسل قلبي بماءِ الثلج والبرَد، ونَقِّ قلبي منَ الخطايا كما نقيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس. وباعِدْ بيني وبينَ خَطايايَ كما باعَدتَ بين المشرقِ والمغرب. اللهم إني أعوذ بك منَ الكسَلِ والمأثم والمغرَم».

٤٧ ـ باب الدعاء بكثرةِ المالِ والولدِ معَ البركة

٦٣٧٨، ٦٣٧٩ ـ عن أنَسٍ عن أم سُليم أنها قالت: يا رسولَ الله، أنسٌ خادِمكَ ادعُ اللهَ له. قال: اللهم أكثرْ مالهُ وولَدَه، وباركْ له فيما أعطيته».

[الحديث ٦٣٧٩ – طرفه في: ٦٣٨١]

قوله (أنها قالت يارسول الله أنس خادمك ادع الله له) تقدم في كتاب الصيام «باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم» وقد بسطت شرحه هناك[١] بما يغني عن إعادته.

باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة

٦٣٨٠، ٦٣٨١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أمُّ سُلَيم: أنسٌ خادمُك ادعُ اللهَ له. قال: اللهمَّ أكثِرْ مالهُ وولَدَه، وباركْ له فيما أعطيتَه».

٤٨ ـ باب الدعاءِ عندَ الاستخارة

٦٣٨٢ ـ عن جابر رضيَ الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن: إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليَركع ركعتَين من غير الفريضة ثم يقول: اللهمَّ إني أستَخيرُكَ بعلمك، وأستَقدِرك بقدرتك، وأسألكَ من فضلكَ العظيم، فإنكَ تَقدرُ ولا أقدِر، وتعلَم ولا أعلم، وأنتَ علامُ الغيوب. اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومَعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجلِ أمري وآجله- فاقدُره لي.وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في دِيني ومعاشي وعاقبةِ أمري -أو قال في عاجل أمري وآجله- فاصرِفْه عني واصرفْني عنه، واقدُر لي الخيرَ حيثُ كان ثمَّ رضِّني به. ويُسمي حاجتَه».

قوله (باب الدعاء عند الاستخارة) هي استفعال من الخير أو من الخِيَرة.

---

(١) كتاب الصوم باب / ٦١ ح ١٩٨٢ - ٢ / ١٩٤.

واستخار الله طلب منه الخيرة، وخار الله له أعطاه ما هو خير له، والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.

قوله (في الأمور كلها) قال ابن أبي جمرة: هو عام أريد به الخصوص، فإن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما، فانحصر الأمر في المباح وفي المستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه.

قلت: وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك في الواجب والمستحب المخير، فيما كان زمنه موسعا ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم.

قوله (كالسورة من القرآن) قال الطيبي: فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بهذا الدعاء وهذه الصلاة لجعلهما تِلْوَين للفريضة والقرآن.

قوله (وأسألك من فضلك) إشارة إلى أن إعطاء الرب فضل منه، وليس لأحد عليه حق في نعمه كما هو مذهب أهل السنة.

قوله (فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم) إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدّر الله له، وكأنه قال: أنت يارب تقدر قبل أن تخلق فيَّ القدرة وعندما تخلقها فيَّ وبعدما تخلقها.

قوله (فاصرفه عني واصرفني عنه) أي حتى لا يبقى قلبه بعد صرف الأمر عنه متعلقاً به، وفيه دليل لأهل السنة أن الشر من تقدير الله على العبد لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه.

قوله (ثم رضني) والسر فيه أن لا يبقى قلبه متعلقاً به فلا يطمئن خاطره. والرضا سكون النفس إلى القضاء.

وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وفيه أن العبد لا يكون قادراً إلا مع الفعل لا قبله، والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلّها إلى الله والتبري من الحول والقوة إليه وأن يسأل ربه في أموره كلّها.

واختلف في ماذا يفعل المستخير بعد الاستخارة، فقال ابن عبد السلام: يفعل ما اتفق، ويستدل له بقوله في بعض طرق حديث ابن مسعود في آخره، ثم يعزم، وأول الحديث «إذا أراد أحدكم أمراً فليقل».

٤٩ ـ باب الدُّعاء عندَ الوُضوء

٦٣٨٣ ـ عن أبي موسى قال: دَعا النبيُّ ﷺ بماء فتوضأ به، ثم رفعَ يدَيهِ فقال: اللهمَّ

اغفرْ لعُبَيدٍ أبي عامر -ورأيتُ بياضَ إبطَيه- فقال: اللهمَّ اجعَلهُ يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ من خلقِكَ من الناس».

قوله (باب الدعاء عند الوضوء ذكر فيه حديث أبي موسى. تقدم بطوله في المغازي في «باب غزوة أوطاس».

٥٠ ـ باب الدعاء إذا عَلا عَقَبة

٦٣٨٤ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في سَفَر، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا. فقال النبيُّ ﷺ: أيّها الناس، إربَعوا على أنفُسِكم، فإنكم لا تَدعُونَ أصمَّ ولا غائباً، ولكنْ تَدعون سميعاً بصيرا.ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فقال: يا عبدَ الله بن قيْس،قل لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة. أو قال: ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله».

قوله (اربعوا) أي ارفقوا ولا تُجهدوا أنفسكم.

قوله (كنز) سمى هذه الكلمة كنزاً لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس.

٥١ ـ باب الدُّعاء إذا هبطَ وادياً فيه حديث جابر رضي الله عنه

قوله (باب الدعاء إذا هبط وادياً فيه حديث جابر) والمراد بحديث جابر ما تقدم في الجهاد وفي «باب التسبيح إذا هبط وادياً» من حديث بلفظ «كنّا إذا صعدنا كبّرنا وإذا نزلنا سبّحنا».

ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والإرتفاع محبوب للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله، ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرج، كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبّح في الظلمات فنُجي من الغم.

٥٢ ـ باب الدُّعاء إذا أراد سَفَرا، أو رَجَع

فيه يحيى بن أبي اسحاق عن أنس

٦٣٨٥ ـ عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قَفلَ من غَزوٍ أو حجٍ أو عمرة يُكبر على كل شَرَف من الأرض ثلاثَ تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير. آيبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون. صدقَ الله وعدَه، ونصر عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه».

قوله (كان إذا قفل) أي رجع وزنه ومعناه.

قوله (من غزو أو حج أو عمرة) ظاهر اختصاص ذلك بهذه الأمور الثلاث، وليس الحكم كذلك عند الجمهور، بل يشرع قول ذلك في كل سفر إذا كان سفر طاعة كصلة الرحم وطلب العلم، لما يشمل الجميع من اسم الطاعة، وقيل يتعدى أيضاً إلى المباح لأن المسافر فيه لا ثواب له فلا يمتنع عليه فعل ما يحصل له الثواب.

قوله (يكبر على كل شَرَف) هو المكان العالي.

قوله (آيبون) جمع آيب أي راجع وزنه ومعناه.

قوله (صدق الله وعده) أي فيما وعد به من إظهار دينه في قوله {وعدكم الله مغانم كثيرة} وقوله {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض} الآية. وهذا في سفر الغزو ومناسبته لسفر الحج والعمرة قوله تعالى {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين} .

قوله (ونصر عبده) يريد نفسه.

قوله (وهزم الاحزاب وحده) أي من غير فعل أحد من الآدميين. واختلف في المراد بالأحزاب هنا فقيل هم كفار قريش ومن وافقهم من العرب واليهود الذين تحزبوا أى تجمعوا في غزوة الخندق ونزلت في شأنهم سورة الأحزاب، وقد مضى خبرهم مفصلاً في كتاب المغازي(١).

٥٣ ـ باب الدُّعاء للمتزوِّج

٦٣٨٦ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: رأى النبيُّ ﷺ على عبدِ الرحمن بن عَوف أثرَ صُفرة فقال: مَهْيَمْ -أو مَه- قال: تزوَّجتُ امرأةً على وزنِ نواةٍ من ذهب. فقال: بارَكَ اللهُ لك. أوْلِمْ، ولو بشاة».

٦٣٨٧ ـ عن جابر رضيَ الله عنه قال: هَلكَ أبي وترك سبعَ -أو تسعَ- بنات، فتزوجتُ امرأةً، فقال النبيُّ ﷺ: تزوَّجتَ يا جابر؟ قلتُ: نعم. قال: بكراً أم ثيباً. قلت: ثيبٌ. قال: هلا جاريةً تلاعبُها وتُلاعبُك، أو تضاحِكها وتضاحكك؟ قلتُ: هلكَ أبي فترك سبعَ -أو تسعَ- بنات، فكرهتُ أن أجيئهنَّ بمثلهنَّ، فتزوجتُ امرأةً تقومُ عليهن. قال: فبارَكَ الله عليك». لم يقل ابن عيينة ومحمد بن مسلم عن عمر بارك عليك

قوله (باب الدعاء للمتزوج) فيه حديث أنس في تزويج عبد الرحمن بن عوف، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب النكاح(٢)، والمراد هنا قوله «بارك الله لك».

ومناسبة قوله ﷺ لعبد الرحمن «بارك الله لك» ولجابر «بارك الله عليك» أن المراد بالأول

---

(١) كتاب المغازي باب / ٢٩ ح ٤٠٩٧ - ٣ / ٣١٢.
(٢) كتاب النكاح باب / ٦٦ ح ٥١٦٥ - ٤ / ٨٥.

اختصاصه بالبركة في زوجته وبالثاني شمول البركة له في جودة عقله حيث قدم مصلحة أخواته على حظ نفسه فعدل لأجلهن عن تزوج البكر مع كونها أرفع رتبة للمتزوج الشاب من الثيب غالباً.

٥٤ ـ باب ما يقولُ إذا أتى أهله

٦٣٨٨ ـ عن ابن عباس رضيَ اللّه عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: لو أنَّ أحدَهم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلَهُ قال: باسم الله، اللهمَّ جنِّبْنا الشيطانَ وجنِّب الشيطان ما رزَقتنا، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضُرَّه شيطانٌ أبدا».

قوله (باب ما يقول إذا أتى أهله) ذكر فيه حديث ابن عباس، وفي لفظه ما يقتضي أن القول المذكور يشرع عند إرادة الجماع فيرفع احتمال ظاهر الحديث أنه يشرع عند الشروع في الجماع، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب النكاح.

قوله (لم يضرَّه شيطان أبدا) أي لم يضر الولد المذكور بحيث يتمكن من إضراره في دينه أو بدنه، وليس المراد في رفع الوسوسة من أصلها.

٥٥ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ: ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حسنَة

٦٣٨٩ ـ عن أنسٍ قال: كان أكثرُ دعاءِ النبي ﷺ: ربنا آتِنا في الدنيا حسنَةً وفي الآخرةِ حسنة وقِنا عذابَ النار».

قوله (باب قول النبي ﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة) قال عياض: إنما يكثر الدعاء بهذه الآية لجمعها معاني الدعاء كله من أمر الدنيا والآخرة، قال: والحسنة عندهم ههنا النعمة، فسأل نعيم الدنيا والآخرة والوقاية من العذاب، نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بذلك ودوامه.

قلت: قد اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة، فعن الحسن قال: هي العلم والعبادة في الدنيا أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح.

وعن محمد بن كعب القرظي الزوجة الصالحة من الحسنات ونحوه عن يزيد بن أبي مالك، وأخرج ابن المنذر من طريق سفيان الثوري قال: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم وفي الآخرة الجنة.

وعن عطية: حسنة الدنيا العلم والعمل به وحسنة الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة.

وقال الشيخ عماد الدين ابن كثير: الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل إلى غير ذلك مماشملته عباراتهم فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما

الحسنة في الآخرة فأعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة، وأما الوقاية من عذاب النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات.

٥٦ ـ باب التعوُّذِ من فتنةِ الدُّنيا

٦٣٩٠ ـ عن مُصعَبِ بن سعدِ بن أبي وَقاص «عن أبيه رضيَ اللهُ عنه قال: كان النبي ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلماتِ كما تُعلَّمُ الكِتابة: اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخل، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنة الدُّنيا وعذابِ القبر».

٥٧ ـ باب تكرير الدُّعاء

٦٣٩١ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها أن رسولَ الله ﷺ طُبَّ حتى إنه ليخيَّل إليه أنه قد صنعَ الشيء وما صنَعَه. وأنه دعا ربَّه، ثم قال: أشعرتِ أن اللهَ قد أفتاني فيما استَفتيته فيه؟ فقالت عائشة: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: جاءني رجُلانِ فجلس أحدُهما عندَ رأسي والآخرُ عندَ رِجليَّ، فقال أحدُهما لصاحبِه: ما وَجَعُ الرجل؟ قال: مَطبوب. قال: من طَبَّه. قال: لبيدُ بن الأعصَم. قال: فبماذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطة وجُفِّ طَلعة. قال: فأين هو؟ قال: في ذروانَ. وذروان بئرٌ في بني زُرَيق. قالت: فأتاها رسولُ الله ﷺ، ثم رجع إلى عائشةَ فقال: واللهِ لكأنَّ ماءَها نُقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوسُ الشياطين. قالت: فأتى رسولُ الله ﷺ فأخبرها عن البئر. فقلتُ: يارسولَ الله فهلاَّ أخرجتَه؟ قال: أما أنا فقد شفانيَ الله، وكرهتُ أن أثيرَ على الناس شراً».

قوله (باب تكرير الدعاء) ذكر فيه حديث عائشة. وقد تقدم شرحه في أواخر كتاب الطب[١].

٥٨ ـ باب الدُّعاء على المشركين

وقال ابنُ مسعود قال النبيُّ ﷺ: اللهم أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف. وقال: اللهم عليكَ بأبي جهل. وقال ابنُ عمر: دعا النبيُّ ﷺ في الصلاة وقال: اللهم العَنْ فلاناً وفلانا، حتى أنزل اللهُ عز وجل {ليس لكَ منَ الأمرِ شيء}.

٦٣٩٢ ـ عن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم مُنزِلَ الكتاب، سَريعَ الحساب، اهزم الأحزاب، اهزِمْهم وزَلزِلهم».

---

(١) كتاب الطب باب / ١٠ ح.٥٧٦٣ - ٤ / ٣٤٥.

٦٣٩٣ ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قال سمعَ اللهُ لمن حمده في الركعةِ الآخرة من صلاة العِشاء قَنَت. اللهم أنج عَياشَ بن أبي ربيعة، اللهم أنج الوَليدَ بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج المستضعفين منَ المؤمنين. اللهم اشدُدْ وَطأتكَ على مُضر، اللهم اجعلها عليهم سنينَ كسِنِي يوسُف».

٦٣٩٤ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: بعَثَ النبي ﷺ سَرِيَّةً يُقال لهمُ القرّاء، فأصيبوا، فما رأيتُ النبيَّ ﷺ وَجدَ على شيء ما وَجدَ عليهم، فقنَتَ شهراً في صلاةِ الفجر، ويقول: إن عُصَيَّة عصتِ اللهَ ورسولَه».

٦٣٩٥ ـ عن عائشة رضيَ اللهُ عنها قالت: كان اليهودُ يُسلِّمون على النبيِّ ﷺ يقولون: السامُ عليكم. ففطِنَت عائشة رضي الله عنها إلى قولهم فقالت: عليكمُ السامُ واللعنة. فقال النبي ﷺ: مَهلا يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه. فقالت: يا نبي الله أوَلَمْ تَسمعْ ما يقولون؟ قال: أوَلَم تسمعي أنّي أردُّ ذلك عليهم فأقول: وعليكم».

٦٣٩٦ ـ عن عليِّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه قال: كنا معَ النبيِّ ﷺ يومَ الخنْدق فقال: مَلأ اللهُ قبورَهم وبيوتهم ناراً كما شَغلونا عن الصلاةِ الوسطى حتى غابتِ الشمس.وهيَ صلاة العصر».

قوله (وقال ابن مسعود[١]: اللهم أعنِّي عليهم بسبعٍ كسبع يوسف) تقدم موصولاً في كتاب الاستسقاء وتقدم شرحه هناك[٢].

قوله (وقال: اللهم عليك بأبي جهل) أي بإهلاكه.

قوله (على الاحزاب) تقدم المراد به قريباً، وسريع الحساب أي سريع فيه أو المعنى أن مجيء الحساب سريع، وتقدم شرح الحديث مستوفى في «باب لاتتمنوا لقاء العدو» من كتاب الجهاد[٣].

الحديث السادس: حديث أنس «بعث النبي ﷺ سريّة يقال لهم القرّاء» الحديث، وقد تقدم شرحه في غزوة بئر معونة من كتاب المغازي[٤]، وقوله «وجدَ» أي حزن.

الحديث السابع: حديث عائشة «كانت اليهود يسلمون» وقد تقدم شرحه في كتاب الاستئذان[٥].

الحديث الثامن: حديث علي «كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق» الحديث وفيه «ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً» وقد تقدم شرحه في تفسير سورة البقرة[٦].

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ اللهم الخ".
(٢) كتاب الاستسقاء باب / ٢ ح ١٠٠٧ - ١ / ٥٢٢.
(٣) كتاب الجهاد باب / ١٥٦ ح ٣٠٢٥ - ٢ / ٦٤٢.
(٤) كتاب المغازي باب / ٢٨ ح ٤٠٨٨ - ٣ / ٣٠٧.
(٥) كتاب الاستئذان باب / ٢٢ ح ٦٣٥٦ - ٤/ ٥٤٠.
(٦) كتاب التفسير "البقرة" باب - ٤٢ ح ٤٥٣٣ - ٣ / ٤٧٤.

٥٩ ـ باب الدُّعاء للمشركين

٦٣٩٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قَدِمَ الطفيل بن عمرو على رسولِ الله ﷺ فقال: يارسولَ الله، إن دَوساً قد عصت وأبَت، فادعُ الله عليها. فظن الناسُ أنه يدعو عليهم، فقال: اللهم اهدِ دَوساً، وأتِ بهم».

قوله (باب الدعاء للمشركين) تقدمت هذه الترجمة وحديث أبي هريرة فيها في كتاب الجهاد.

وقد تقدم شرحه هناك، وذكرت وجه الجمع بين الترجمتين: والدعاء على المشركين والدعاء للمشركين وأنه باعتبارين، وحكى ابن بطال أن الدعاء للمشركين ناسخ للدعاء على المشركين ودليله قوله تعالى {ليس لك من الأمر شيء} قال: والأكثر على أن لا نسخ، وأن الدعاء على المشركين جائز، وإنما النهيُ عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام، ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر، والمنع حيث يقع الدعاء غليهم بالهلاك على كفرهم، والتقييد بالهداية يرشد إلى أن المراد بالمغفرة في قوله في الحديث الآخر «اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها لأن ذنب الكفر لا يمحى، و المراد بقوله «اغفر لهم» اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة، والله أعلم.

٦٠ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ: اللهم اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخرْت

٦٣٩٨ ـ عن ابن أبي موسى «عن أبيه عن النبيِّ ﷺ أنه كان يَدعو بهذا الدعاء: رب اغفرْ لي خَطيئتي وجَهلي، وإسرافي في أمري كلِّه وما أنتَ أعلم به مني، اللهم اغفر لي خَطاياي وعَمدي، وجَهلي وجدِّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرَتُ وما أعلَنتُ، أنتَ المقدِّمُ وأنت المؤخر، وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير».

[الحديث ٦٣٩٨ - طرفه في: ٦٣٩٩]

٦٣٩٩ ـ عن أبي موسى الأشعري «عن النبي ﷺ أنهُ كان يَدعو: اللهمَّ اغفِرلي خَطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنتَ أعلَم به مني. اللهم اغفر لي هزلي وجِدِّي، وخَطئي وعَمدي وكلُّ ذلك عندي».

قوله (رب اغفر لي خطيئتي) الخطيئة الذنب.

قوله (وجهلي وجدي) وقع في مسلم «اغفر لي هزلي وجدِّي» وهو أنسب .

قوله (وكل ذلك عندي) أي موجود أو ممكن.

قال الطبري بعد أن استشكل صدور هذا الدعاء من النبي ﷺ مع قوله تعالى {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر} ما حاصله: إنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه

وسؤاله المغفرة إذا جاء نصر الله والفتح.

قال المحاسبي: الملائكة والأنبياء أشد لله خوفاً ممن دونهم، وخوفهم خوف إجلال وإعظام، واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق.

وقال عياض: يحتمل أن يكون قوله «اغفر لي خطيئتي» وقوله «اغفر لي ما قدّمت وما أخرت» على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربّه، لما علم أنّه قد غفر له. وقيل هو محمول على ما صدر من غفلة أو سهو.

٦١ ـ باب الدُّعاء في الساعةِ التي في يوم الجمعة

٦٤٠٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: في يوم الجمعة ساعةٌ لا يُوافقها مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي يسأل اللهَ خيراً إلا أعطاه. وقال بيدِه، قلنا: يُقَلِّلها، يُزَهِّدُها».

قوله (باب الدعاد في الساعة التي في يوم الجمعة) أي التي ترجى فيها إجابة الدعاء.

وقد ترجم في كتاب الجمعة «باب الساعة التي في يوم الجمعة» ولم يذكر في البابين شيئاً يشعر بتعيينها.

وقد اختلف في ذلك كثيراً، واقتصر الخطابي منها على وجهين: أحدهما أنها ساعة الصلاة، والآخر أنها ساعة من النهار عند دنو الشمس للغروب.

٦٢ ـ باب قول النبي ﷺ : يُستجابُ لنا في اليهود، ولا يُستجابُ لهم فينا

٦٤٠١ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها: أنَّ اليهودَ أتوا النبيَّ ﷺ فقالوا: السامُ عليك. قال: وعليكم. فقالت عائشة: السامُ عليكم ولعنَكمُ اللهُ وغَضِبَ عليكم. فقال رسولُ الله ﷺ: مَهلاً يا عائشة، عليكِ بالرِّفق، وإيّاكِ والعُنف -أوِ الفُحش- قالت: أوَلم تَسمعْ ما قالوا؟ قال: أولم تَسمعي ما قلتُ؟ ردَدْتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم ولا يُستَجاب لهم فيَّ».

قوله (باب قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا) أي لأنا ندعو عليهم بالحق وهم يدعون علينا بالظلم. ذكر فيه حديث عائشة في قول اليهود السام عليكم.

وقد تقدم شرحه في كتاب الاستئذان[1]، ويستفاد منه أن الداعي إذا كان ظالماً على من دعا عليه لا يستجاب دعاؤه.

---

(١) كتاب الاستئذان باب / ٢٢ ح ٦٣٥٦ - ٤ / ٥٤.

٦٣ ـ باب التأمين

٦٤٠٢ ـ عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال: إذا أمَّنَ القارئُ فأمِّنوا، فإنَّ الملائكة تؤمنُ، فمن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفرَ له ما تقدَّم من ذَنبه».

قوله (باب التأمين) يعني قول «آمين» عقبَ الدُّعاء، ذكر فيه حديث أبي هريرة «إذا أمَّن القارئ فأمِنوا» وقد تقدم شرحه في كتاب الصلاة، والمراد بالقارئ هنا الإمام إذا قرأ في الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد بالقارئ أعمُّ من ذلك، وورد في التأمين مطلقاً أحاديث منها حديث عائشة مرفوعاً «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» رواه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة، وأخرج الحاكم «عن حبيب بن مسلمة الفهري سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله تعالى».

وكان أبو زهير يقول: آمين مثل الطابع على الصحيفة.

٦٤ ـ باب فضلِ التَّهليل

٦٤٠٣ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: من قال لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شَريكَ له،لهُ الملك،وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قَدير في يومٍ مائةَ مرَّة كانت له عَدلَ عَشرِ رِقاب، وكُتبت له مائةُ حسَنة، ومحيَت عنه مائة سيِّئة، وكانت له حِرزاً منَ الشيطان يومَهُ ذلك حتى يُمْسي، ولَم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء.إلا رجلٌ عملَ أكثر منه».

٦٤٠٤ ـ عن عمرِو بن مَيمونٍ قال: «مَن قال عَشراً كان كمن أعتقَ رقبةً من ولدِ إسماعيلَ.

قوله (باب فضل التهليل) أي قول لا إله إلا الله.

قوله (عدل) قال الفراء: العدل بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه.

٦٥ ـ باب فضل التسبيح

٦٤٠٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: من قال سُبحانَ اللهِ وبحمدِه في يوم مائةَ مرَّة حُطَّت عنه خطاياهُ وإن كانت مثل زَبَدِ البحر».

٦٤٠٦ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلَتانِ في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحانَ الله العظيم، سبحانَ اللهِ وبحمدِه».

[الحديث ٦٤٠٦ – طرفاه في: ٦٦٨٢، ٧٥٦٣]

قوله (باب فضل التسبيح) يعني قول سبحان الله، ومعناه تنزيه الله عما لا يليق به من

كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل.

ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة.

وأما صلاة التسبيح فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها.

قال عياض: قوله «حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» مع قوله في التهليل «محيت عنه مائة سيئة» قد يشعر بأفضلية التسبيح على التهليل، يعني لأن عدد زبد البحر أضعاف أضعاف المائة، لكن تقدم في التهليل «ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به» فيحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون التهليل أفضل وأنه بما زيد من رفع الدرجات وكتب الحسنات ثم ما جعل مع ذلك من فضل عتق الرقاب قد يزيد على فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار» فحصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عموماً بعد حَصْرِ ما عدد منها خصوصاً مع زيادة مائة درجة وما زاده عتق الرقاب الزيادة على الواحدة، ويؤيده الحديث الآخر «أفضل الذكر التهليل» وأنه أفضل ما قاله والنبيُّون من قبله وهو كلمة التوحيد والإخلاص، وقيل إنه اسم الله الأعظم.

وقد جمع القرطبي بما حاصله: إن هذه الأذكار إذا أطلق على بعضها أنه أفضل الكلام أو أحبه إلى الله فالمراد إذا انضمت إلى أخواتها، بدليل حديث سمرة عند مسلم «أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ويحتمل أن يكتفي في ذلك بالمعنى فيكون من اقتصر على بعضها كفى، لأن حاصلها التعظيم والتنزيه، ومن نَزَّهَهُ فقد عظَّمه ومن عظَّمه فقد نزّهه، انتهى. وقال النووي: هذا الإطلاق في الأفضلية محمول على كلام الآدمي، وإلا فالقرآن أفضل الذكر.

وذكر ابن بطال عن بعض العلماء أن الفضل الوارد في حديث الباب وما شابهه إنما هو لأهل الفضل في الدين والطهارة من الجرائم العظام، وليس من أصر على شهواته وانتهك دين الله وحرماته بلاحِقٍ بالأفاضل المطهرين في ذلك.

ويشهد له قوله تعالى {أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}.

قوله (خفيفتان على اللسان الخ) وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس. وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي التفريط فيه.

وقوله «حبيبتان إلى الرحمن، تثنية حبيبة وهي المحبوبة، والمراد أن قائلها محبوب لله، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم[1]».

---

(١) محبة الله للعبد صفة ثابتة لله تعالى بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة ولا مسوِّغ لتأويلها.

٦٦ ـ باب فضلِ ذكر الله عزَّ وجل

٦٤٠٧ ـ عن أبي موسى رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ «مَثلُ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذكرُ ربَّه مَثلُ الحي والميت».

٦٤٠٨ ـ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: إن لِله ملائكة يَطوفون في الطرُقِ يَلتمِسونَ أهلَ الذكر، فإذا وَجَدوا قوماً يَذكرونَ الله تَنادَوْا هلمُّوا إلى حاجَتِكم، قال فيَحفُّونهم بأجنِحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل -وهوَ أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبحونك ويُكبرونك ويَحمدونك ويُمجدونك. قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيفَ لو رأوني؟ قال: يقول: لو رأوكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيدا، وأكثر لك تَسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنَّة. قال يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيفَ لو أنَّهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنَّهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصا، وأشد لها طلباً، وأعظمَ فيها رغبة. قال: فمم يتعوَّذُون؟ قال: يقولون: منَ النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال: يقول: فكيفَ لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مخافةً. قال فيقول: فأشهِدُكم أني قد غَفرَتُ لهم. قال: يقول: مَلَكٌ من الملائكة فيهم: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: همُ الجُلَساء لا يَشقى جَليسُهم».

قوله (باب فضل ذكر الله عز وجل) والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضاً ويراد به المواظبة على العمل بما أوجب أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه إزداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وورد في فضل الذكر أحاديث أخرى منها ما أخرجه المصنف في أواخر كتاب التوحيد عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» الحديث.

ومنها ما أخرجه في صلاة الليل من حديث أبي هريرة أيضاً رفعه «يعقد الشيطان» الحديث وفيه «فإن قام فذكر الله انحلت عقدة» ومنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعاً «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة» الحديث.

وعن عبد الله بن بسر «أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ. فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم.

قوله (فيحفونهم بأجنحتهم) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين.

قوله (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك) وفي رواية الإسماعيلي «قالوا ربنا مررنا بهم وهم يذكرونك الخ».

وفي حديث أنس عند البزار «ويعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم» ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخير الدنيا والآخرة، وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة حسب،وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى.

وفي الحديث: فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر، وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول لإظهار العناية بالمسئول عنه والتنوية بقدره والإعلان بشرف منزلته، وفيه أن الذي اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات والنار من أنواع المكروهات فوق ما وصفتا به، وأن الرغبة والطلب من الله والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول.

٦٧ ـ باب قولِ لا حَولَ ولا قوةَ إلا بالله

٦٤٠٩ ـ عن أبي موسى الأشعري قال: أخذَ النبيُّ ﷺ في عَقَبة -أو قال في ثنية- قال: فلما علا عليها رجُل نادَى فرفعَ صَوتَهَ لا إله إلا اللهُ والله أكبر. قال ورسولُ الله ﷺ على بَغلتهِ قال: فإنكم لا تَدعون أصم ولا غائباً. ثم قال: يا أبا موسى -أو يا أبا عبدِ الله- ألا أدُلك على كلمةٍ مِن كنزِ الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حَولَ ولا قوةَ إلا بالله».

قوله (باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله) ذكر فيه حديث أبي موسى، وقد تقدم قريباً في «باب الدعاء إذا علا عقبة» ووعدت بشرحه في كتاب القدر[١]، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

٦٨ ـ باب للهِ مائةُ اسم غيرَ واحدة

٦٤١٠ ـ عن أبي هريرةَ رواية قال: لله تسعة وتسعونَ اسماً -مائة إلا واحدة- لا يَحفظها أحدٌ إلا دَخلَ الجنة، وهو وِترٌ يحبُّ الوِتر».

واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك.

وأما رواية الوليد عن شعيب وهي أقرب الطرق إلى الصحة وعليها عول غالب من شرح الأسماء الحسنى فسياقها عند الترمذي «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبِّر الخالق الباريء المصور الغفّار القهّار الوهّاب الرزّاق الفتّاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور».

وقد قال الغزالي في «شرح الأسماء» له: لا أعرف أحداً من العلماء عنُي بطلب أسماء وجمعها سوى رجل من حفاظ المغرب يقال له علي بن حزم فإنه قال: صح عندي قريب من ثمانين اسماً يشتمل عليها كتاب الله والصحاح من الأخبار، فلتطلب البقية من الأخبار الصحيحة. قال الغزالي: وأظنه لم يبلغه الحديث يعني الذي أخرجه الترمذي أو بلغه

(١) كتاب القدر باب ٧/ ٦٦١٠ - ٥ / ١٠٣.

فاستضعف إسناده؛ قلت: الثاني هو مراده، فإنه ذكر نحو ذلك في «المحلى» ثم قال: والأحاديث الواردة في سرد الأسماء ضعيفة لا يصح شيء منها أصلا، وجميع ما تتبعته من القرآن ثمانية وستون اسماً. فإنّه اقتصر على ماورد فيه بصورة الاسم لا ما يؤخذ من الاشتقاق كالباقي من قوله تعالى {ويبقى وجه ربك} ولا ماورد مضافاً كالبديع من قوله تعالى {بديع السماوات والأرض} وسأبين الأسماء التي اقتصر عليها قريباً، وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة فقال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة.

وقال أبو الحسن القابسي: أسماء الله وصفاته لا تُعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الإجماع، ولا يدخل فيها القياس ولم يقع في الكتاب ذكر عدد معين، وثبت في السنة أنها تسعة وتسعون، فأخرج بعض الناس من الكتاب تسعة وتسعين اسماً، والله أعلم بما أخرج من ذلك، لأن بعضها ليست أسماء يعني صريحة.

وقد اختلف في هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلى الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة؛ فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وعند مالك عن كعب الأحبار في دعاء «وأسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها ومالم أعلم»، وقال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداه من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني، واختلف في الأسماء الحسنى هل هي توقيفية بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء، إلا إذا ورد نص إما في الكتاب أو السنة، فقال الفخر: المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية.

وقالت المعتزلة والكرامية: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله جاز إطلاقه على الله.

وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسماء توقيفية دون الصفات،قال: وهذا هو المختار.

وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، ومالم يرد لا يجوز ولو صح معناه. وقال أبو اسحاق

الزجاج: لا يجوز لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه، والضابط أن كل ما أذن الشرع أن يدعى به سواء كان مشتقاً أو غير مشتق فهو من أسمائه، وكل ما جاز أن ينسب إليه سواء كان مما يدخله التأويل أو لا فهو من صفاته ويطلق عليه اسماً أيضاً.

قوله (من حفظها)[١] وقال ابن أبي عمر عن سفيان «من أحصاها» أخرجه مسلم والإسماعيلي من طريقه، قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوها: أحدها أن يعدها حتى يستوفيها يريد أن لا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله تعالى {علم أن لن تحصوه} ومنه حديث «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال: «الرزاق» وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

ثالثها المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة انتهى ملخصاً.

وقال القرطبي: المرجو من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاث للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين.

وقال ابن عطية: معنى أحصاها عدّها وحفظها، ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والاعتبار بمعانيها.

وقال الأصيلي: ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط لأنه قد يَعدُها الفاجر، وإنما المراد العمل بها.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: الإحصاء المذكور في الحديث ليس هو التعداد، وإنما هو العمل والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها.

وقال أبو العباس بن معد: يحتمل الإحصاء معنيين أحدهما أن المراد تتبعها من الكتاب والسنة حتى يحصل عليها، والثاني أن المراد أن يحفظها بعد أن يجدها محصاة.

وسيأتي في كتاب التوحيد شرح معاني كثير من الأسماء حيث ذكرها المصنف في تراجمه إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواية الباب واليونينية "لا يحفظها أحد".

٦٩ ـ باب الموعظةِ ساعةً بعدَ ساعة

٦٤١١ ـ عن شقيقٍ قال: «كنا ننتظرُ عبدَ الله إذ جاء يزيدُ بن مُعاويةَ، قلت: ألا تجلِسُ؟. قال: لا، ولكن أدخلُ فأُخرِجُ إليكم صاحبَكم، وإلا جئتُ أنا فجلستُ. فخرجَ عبدُ الله وهوَ آخِذٌ بيده، فقام علينا فقال: أما إني أخبرُ بمكانِكم، ولكنهُ يمنعُني منَ الخروج إليكم أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَتخوَّلنا بالموعظةِ في الأيام كراهية السآمةِ علينا».

قوله (كنا ننتظر عبد الله) يعني ابن مسعود.

قوله (كان يتخولنا بالموعظة) قال الخطابي: المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل، والتخول: التعهد.

قوله (في الأيام) يعني فيذكرهم أياماً ويتركهم أياما.

قوله (كراهية السآمة علينا) أي أن تقع منا السآمة، وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويقتدى به في ذلك، فإن التعليم بالتدريج أخف مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكدة والمغالبة.

وفيه منقبة لابن مسعود لمتابعته للنبي ﷺ في القول والعمل ومحافظته على ذلك.